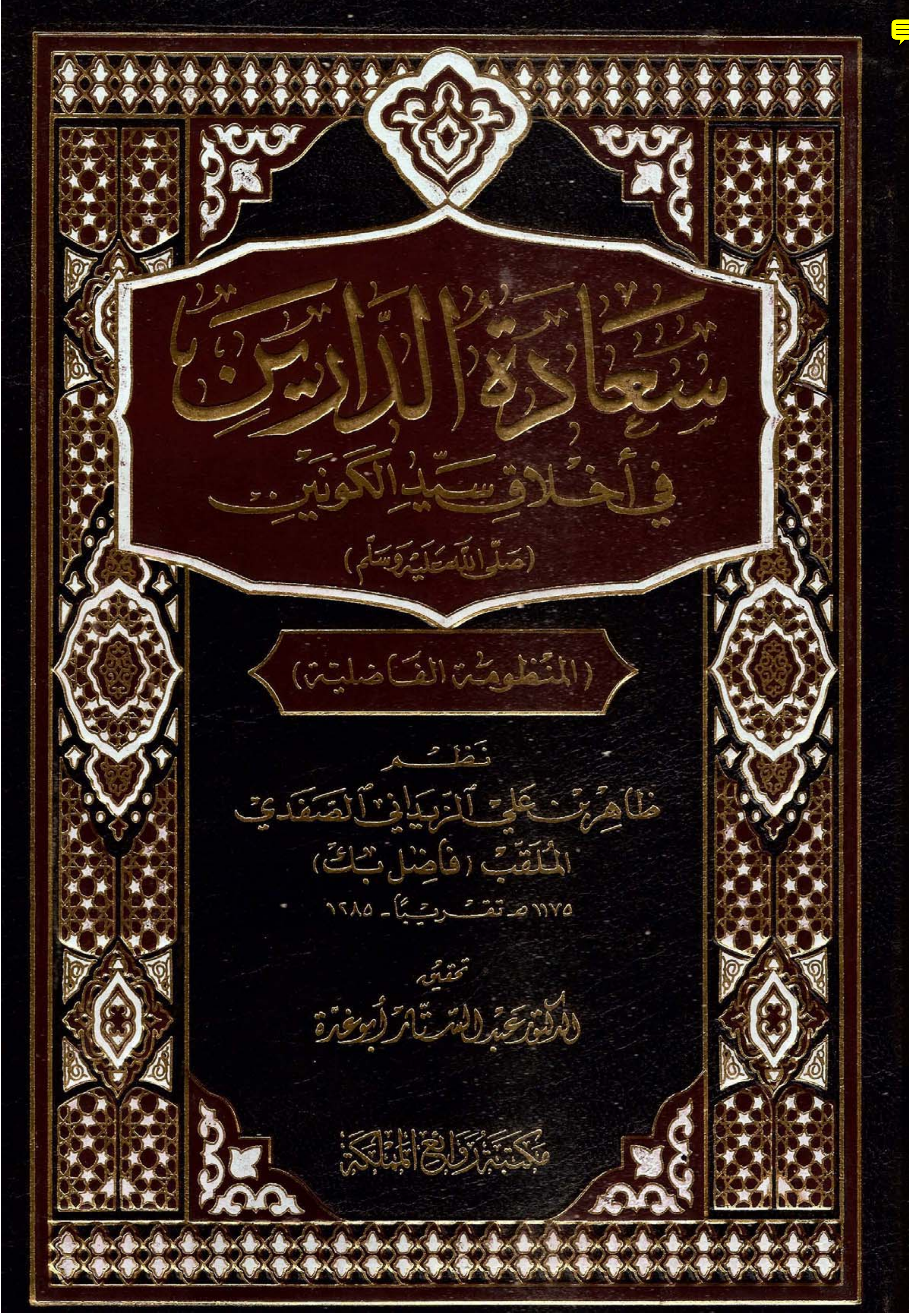


سعادة الدارين
في أخلاق سيد الكونين
(صلى الله عليه وسلم)
(المنظومة الفاضلية)
نظم
ظاهر بن علي الزيداني الصفدي
الملقب (فاضل بك)
١١٧٥هـ تقريباً - ١٢٨٥
تحقيق
الدكتور عبد الستار أبو غدة
مكتبة روائع المملكة



نظم

ظاهر بن علي الزيداني الصفدي

الملقب (فاضل بك)

١١٧٥هـ تقريباً - ١٢٨٥

تحقيق

الدكتور عبد الستار أبو غدة

مكتبة روائع المملكة

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

يطلب من:

مكتبة روائع المملكة

المملكة العربية السعودية – جدة

حي الجامعة – شارع با خشب

ص.ب: ١٩٨٠١ – **الرمز البريدي:** ٢١٤٤٥

هاتف: ٦٨٨٢٠١٣– ٦٨٨٢٠١٧ **فاكس:** ٦٨٨٢٠١٨

Email: RawaeMamlaka@hotmail.com

مقدمة التحقيق

(أ) التعريف بالناظم

(ب) التعريف بالمنظومة

(ج) الأصل المطبوع عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف موجز بالمؤلف وبالكتاب

المؤلف :

هو إمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ولد في 18من محرم 419هـ = 1028م في جوين من نواحي نيسابور ، وتوفي في 25 ربيع الآخر 478هـ = 1085م عن 59 سنة.

من شيوخه والده أبو محمد الجويني، وأبو عبد الله الخبازي، وأبو القاسم الاسفرايني الاسكاف، والبيهقي .

ومن تلاميذه أبو حامد الغزالي ، والخوافي، والهراسي . وقد تأثر الغزالي بكتب شيخه ومنهجه واختصر بعض كتب شيخه .

نبغ إمام الحرمين مبكرا فقد اجلسوه وهو في العشرين من عمره للتدريس مكان والده بعد وفاته، وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد ليّدرس فيها، وكان يحضر دروسه.

واقام بمكة المكرمة أربع سنين يدرّس فيها ويفتي ويؤم الناس بالمسجد الحرام، وأمّ أيضاً بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة ، ولذا لقب (إمام الحرمين) ، ويطلق عليه في كتب الشافعية (الإمام) اختصاراً .

قال عنه الباخرزي في دمية القصر : هو في الفقه : الإمام الشافعي ، وفي الأدب : الاصمعي، وفي الوعظ : الحسن البصري، وأثنى عليه السبكي وغيره ممن ترجموا له(*) .

ولإمام الحرمين كتب نفيسه:

فله في أصول الدين :العقيدة النظامية سماه باسم الوزير (نظام الملك) و(الشامل) ومختصره له (الكامل) وله في أصول الفقه البرهان والإرشاد والورقات وهو أوجز كتاب في أصول الفقه وقد كثرت شروحه ونظمه بعضهم .

وله في الفقه كتاب " نهاية المطلب في دراية المذهب " أي مذهب الشافعي وقد حققه الدكتور عبد العظيم الديب (رحمه الله) ونشرته وزارة الأوقاف في قطر في عشرين مجلداً .

وله في الفقه العام كتاب الغياثي ، وفيما يلي التعريف به .

(*) من مراجع ترجمة المؤلف : وفيات الأعيان، لابن خلكان 287/1 والطبقات للسبكي 249/3 ومفتاح السعادة 440/1 و 288/2 ، ودراسة فوقية حسين عن إمام الحرمين في سلسلة أعلام العرب، والأعلام للزركلي 160/4 وترجمته في الطبعتين لكتابه الغياثي للمحققين لهما .

الكتـــاب:

هذه (الفصول القواطع) هي قسم من كتاب (الغياثي) واسمه الكامل غياث الأمـــم في التياث الظلم) وهو كتاب شامل لعّدة أقسام كبرى هي : السياسة الشرعية وأصول الفقـــه، وضوابط الإفتاء، وأحكام الإمامة الكبرى (رئاسة الدولة)، وفي القسم الأخـــير منـــه أمهـــات الأسس الفقهية التي يرجع إليها عند انقراض المجتهدين والمفتيين ، وهي تدل على إحاطته بمقاصد الشريعة وأصولها وفروعها وكلياتها . وقد عبّر عنها بأنها فصول قواطع، ومن ذلك اقتبس اسم هذا القسم الذي تم نشره .

نشر كتاب (الغياثي) مرتين، بمصر بتحقيق د. مصطفى حلمي، ود. فؤاد عبد المنعم، ثم في قطر بتحقيق د. عبد العظيز الديب ، عن عدد من المخطوطات ، جزي في الله محققيه خير الجزاء .

والباعث الآن على نشر القسم الثالث من (الغياثي) هو ما انفرد به إمام الحرمين فيـــه من استخلاص ما يصلح مرجعاً لمعرفة الأحكام الشرعية في الجملة من خلال ضوابط صاغها، وقواعد أبرزها لم يقتصر فيها على مقولات المذهب الشافعي ، بل رجح واختار بمـــا تقتضـــيه الظروف التي تصورها من اندثار العلم وفقدان أهلية الاجتهاد للمستجدات أو الإفتاء فيها .

وقد كرر إمام الحرمين الأمل في ان تعمّ المعرفة بهذه الفصول التي فتح عليه بها بعـــد الغوص في بطون الكتب وشتى المذاهب والاتجاهات الفقهية، لتكون منارات في العصور الـــتي تخلو ممن تتوافر فيه أهلية الاجتها بشروطه، ومقدرة الإفتاء بضوابطه، ولذا رأيـــت إخراجهـــا بطريقة (التحرير) - وليس التحقيق ومقارنة نسخ المخطوطات — وفقد وفي بهذا الغرض الأخير المحققون المشار إليهم جزاهما الله خبر الجزاء — حيث ان نشر هذا القسم الذي ختم بـــه إمـــام الحرمين كتابه واعتبره فريداً لم يسبق إليه — وهو محقّ في ذلك — يحقق رجاء المؤلف وتوقّعه في ان تكون هذه الفصول (دستوراً) بالمصطلح الحديث يعوَّل عليهـــا في التعـــرف إلى حكـــم المستجدات، فهي بمثابة القواعد العامة للشريعة تطبيقا، ولو لم تتم صياغتها في عبارات مختصرة جامعة كالقواعد الفقهية المعروفة .

وتجدر الإشارة إلى ما طرحه ابن النفيس على ابن ابي الحزم القَرْشي المتوفى 687هـ الفقيه الشافعي والطبيب المشهور، بعد مائتي عام من وفاة المؤلف في كتابه الرســـالة الكامليـــة (وتسمى كتاب فاضل بن ناطق) التي نسجها على منوال كتاب حي بن يقظان لابن طفيـــل، حيث أورد الأسس الشرعية الكبرى التي تخيل الحاجة إليها في مكان لا يتوافر فيه الفقهاء، ولعله اقتبس ذلك من المحاولة الأولى التي قام بها إمام الحرمين .والله أعلم .

(أ)
التعريف بالناظم

اسمه، ونسبه :

هو ظاهر[١] بن علي الزيداني الصفدي الإسلامبولي (فاضل بك) .

والزيداني : نسبة إلى أحد أجداده، أو لقبيلته .

والصفدي : نسبة إلى موطنه الأصلي (صفد) وهي إحدى مدن فلسطين، على الساحل .

والإسلامبولي : نسبة إلى مدينة (إسلامبول) وهو الاسم القديم لإستانبول، ومعناه : مدينة الإسلام .

ولقبه (فاضل بك)[٢] هو على عادة الأتراك في اختيار لقب ما، قد لا يكون من أصل الاسم، ويعبرون عن ذلك بأنه (تخلص بلقب كذا) وقد أطلق على المنظومة اسم (منظومة فاضل بك) و(المنظومة الفاضلية) .

وقد نسب نفسه في أول المنظومة إلى المذهب الشافعي .

وظيفته :

ذكر الناظم – وكذلك جاء على عنوان المنظومة – انه كان (خواجكان الدولة العثمانية والمقصود أنه علمائها، كما سيأتي :

---

(١) التسمية باسم (ظاهر) نادرة، فالمألوف ان تكون وصفا (الظاهر فلان) لكنها مألوفة في مدينة (صفد) بدلالة تسمية حاكمها المتغلب عليها في عهد الدولة العثمانية ظاهر بن عمر بن ابي زيدان المتوفى ١٧٨٢ م وقد استقل عن الدولة وفصل ولاية (صفد) وما يتبعها (عكا وطبرية والناصرة وحيفا والرملة وجبل نابلس وشرق الأردن وجبل عامل) واعترفت به الدولة العثمانية بعد العجز عن إخضاعه (الأعلام للزركلي ٢/٢٥٤ ط ١) .

(٢) جاء ذكر هذا اللقب على غلاف المنظومة حيث قال الناسخ عن الناظم (المعروف بفاضل بك)

تعرضه للنفي :

أورد في آخر المنظومة أنه نظمها في جزيرة (رودس) – وهي حاليا تابعة لليونان – حيث نفي إليها، ولم يذكر سبب نفيه . ويبدو أنه كان ضحية الوشايات والتنافس بين الأقران وإيقاع ذوي الصلة بالسلطان بمن يزاحمهم أو يحظى بما لم ينالوه من منصب أو جاه، وقد قال عن نفيه :

لأنــني نظمتها مأيوسا وكنت في جـزيـرة محبوسـا
بليت بالنفي وبـالإقـامـة في رودس المشهورة الشآمة

الإفراج عنه :

ذكر في خاتمة المنظومة أنه حين أتمها جاءته البشرى بالإفراج عنه، وكان ذلك ليلة المعراج (الإسراء) وفي ذلك يقول :

فحين ختمها بعون الباقي أدركني الرسول بالإطلاق

إصابته بالعمى :

اشار في المنظومة إلى ضعف، أو فقد، بصره حيث استعان لتبييضها ببعض أصحابه :

وكـان في تبييضها ابتلائـي حيث غدت عيناي في الظلماء
من علة قد أورثتني قلقـا وغـادرت نهار عيني غسـقا
قد أنزلت بناظريّ ضـرّا وقاكم الله تعالى الشـــرا
لأبــصر الخـطـوط في كتاب حتى استعنت البعض من أصحابي

وكان تبييضها في مدينة ساقر، ولعلها المدينة التي انتقل إليها عند الإفراج عنه .

عمره ووفاته :

لم يعرف عمره ولا تاريخ وفاته، ولا ولادته، وقد جاوز الأربعين حيث قال في أواخر المنظومة :

جعلتها لله مني توبة ... وملت للحق وعدت صوبه

ومن يكن في الأربعين سنه ... إن لم يتب لله ساء ظنه

وإذا كان قد اتم تبييضها عام ١٢١٥هـ فتكون ولادته ١١٧٥هـ ومات قبل ١٢٨٥هـ على فرض أنه عّمر أكثر من مائة عام وهي السنة التي تم طبع المنظومة فيها وجاء في خاتمه الطبع الترحم عليه .

(ب)
التعريف بالمنظومة

اسمها :

سماها المؤلف (الناظم) بالاسم التالي :

سعادة الدارين في اتباع سيد الكونين

وهو تنويه بمضمونها حيث اشتملت على شمائل النبي صلي الله عليه وسلم وأخلاقه وهديه .

وذكر ناسخها في الطبعة الحجرية انها اشتهرت بـ(منظومة الفاضل) أو (الفاضلية) .

موضوعها :

هو الشمائل والأخلاق النبوية، وموضوعات متعلقة بها وقد وضعت كتب معروفة في الشمائل النبوية منها :

(أ) الشمائل للإمام الترمذي المتوفى ٢٧٩هـ وشروحه لابن حجر الهيتمى، وللقارئ.

(ب) المواهب اللدنية ، للقسطلاني ، المتوفى ٩٢٣هـ وشرحه للزرقاني ، المتوفى ١١٢٢هـ وحاشية على المواهب للشبراملسي المتوفى ١٠٨٧هـ .

كما وضعت كتب عديدة في الأخلاق عامة، وفي أخلاق النبي ﷺ خاصة، منها كتاب أخلاق النبي ﷺ، لأبي بكر محمد عبد الله الوراق المتوفى ٢٤٩هـ، ولابن حبان البستى المتوفى ٣٥٤ .

من المنظومات المشابهة :

أما في مجال النظم فهناك منظومات في السيرة والأخلاق الشمائل النبوية مطبوعة منها :

(أ) الدرر السنية في نظم السيرة النبوية، للحافظ عبد الرحيم العراقي المتوفى ٨٠هـ وهي من بحر الرجز، في ألف بيت، شرحها الحافظ عبد الرؤوف المناوى المتوفى ١٠٣١هـ شرحاً مبسوطا سماه العجالة السنية على الفية السيرة النبوية، ثم لخصه وسمّاه الفتوحات السبحانية .

وقد طبع شرح المناوى المبسوط عام ١٩٨٠ في الرياض (دار الإفتاء) بتحقيق إسماعيل الأنصاري.

(ب) سيرة سيد ولد آدم، منظومة على قافية التاء، ولذا تسمى (تائية الخطيب) عبد الحميد الخطيب المتوفى ١٣٣٥هـ وهي في ١٦٨ صفحة، طبع المكتبة العصرية، بيروت.

(ج) من إشراقات السيرة النبوية، عزيز اباظة منظومة ١٩١صفحة ط. مكتبة مصر بالقاهرة.

(د) مولد النور، ملحمة حوارية شعرية، عبد الفتاح رواسى قلعجي في ٢٥٥ صفحة طبعت ١٣٩٠ = ١٩٧١م.

أما المخطوط منها فهناك الكثير مما ورد ذكره في كشف الظنون تحت عنوان (السيرة) وعنوان (الأخلاق) أو (الشمائل) .

خصائص هذه المنظومة :

تتميز هذه المنظومة بأنها نظم سهل للشمائل والأخلاق النبوية ، وقد بلغت أبوابها مائة باب وبلغ عدد أبيات المنظومة ١٩٤٥ بيتاً لا تلحظ في شيء منها التكلف أو الركاكة .

وهناك موضوعات جانبية أتى بها الناظم لمناسبة ما، مثل الباب (٥) في علم القيافة، وقد ضمنه ما يتعلق بالفراسة، ومناسبته هي الانتقال إلى أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وحليته الخلقية لإظهار علاقة أمور الفراسة بالنباهة والذكاء كما اشار إلى ذلك في قوله :

فذكر أعضاء جميع الجسد ليعرف الممدوح منها والردي

هذا لكي يظهر بالدليل أيضاً كمال حلية الرسول

وقد أفصح الناظم بأنه أدرج في المنظومة (٦) أبيات لغيره على سبيل الاقتباس ، لمناسبتها للباب مثل قوله :

ومن كلام ابن دريد الواضح جعلت هذا البيت في نصائحي

وآفة العقل الهوى، فمن علا على هواه فعله فقد نجا

ونحوه ما نظمه من الأشعار الفارسية مثل قوله في الباب ٨٩ في الحب والمحبوب، في آخره :

ان لا تعلق بديار قلبا ولا بمحبوب تقاسي حبا

فالبحر والبر كثير بلده وآدم فيها كثير ولده

وقد أورد في افتتاح المنظومة (١٣) بيتا في التحميد والصلاة على النبي ﷺ وتسمية نفسه والأمر بالسعي .

ثم أورد (المقدمة) في (٥١) بيتا .

ثم (الدعاء للسلطان) ١٧ بيتاً .

ثم شرع في الشمائل النبوية .

ويعتني الناظم بذكر التعاريف معقباً بذكر شمائله صلى الله عليه وسلم في موضوع ما، وبعد ذلك يشير للآيات وللأحاديث وللحكم في الموضوع . ويستشهد بأقوال أفلاطون وغيره .

منظومات في السيرة والشمائل النبوية :

١ / الدرر السنية في نظم السيرة النبوية، للحافظ عبد الرحيم العراقي المتوفى ٨٠هـ وهي من بحر الرجز، في ألف بيت، شرحها الحافظ عبد الرؤوف المناوى المتوفى ١٠٣١هـ شرحاً مبسوطا سماه العجالة السنية على الفية السير النبوية، ثم لخصه وسمّاه الفتوحات السبحانية .

طبع شرح المناوى المبسوط عام ١٩٨٠ في الرياض (دار الإفتاء) بتحقيق إسماعيل الأنصاري .

٢ / سيرة سيد ولد آدم، منظومة على قافية التاء، ولذا تسمى (تائية الخطيب) عبد الحميد الخطيب المتوفى ١٣٣٥هـ وهي في ١٦٨ صفحة، طبع المكتبة العصرية، بيروت .

٣ / من إشراقات السيرة النبوية، عزيز اباظة منظومة ١٩١صفحة ط . مكتبة مصر بالقاهرة .

٤ / مولد النور، ملحمة حوارية شعرية، عبد الفتاح رواسى قلعجي في ٢٥٥ صفحة طبعت ١٣٩٠ = ١٩٧١م

(ج)
الأصل المطبوع عنه

لـم يتم العثور على المخطوطة الأصلية، ولكن اعتمدت على الطبعة الحجرية للمنظومة، كتبها خطاط اسمه مصطفى حريري وفرغ من تحريرها غرة جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٥هـ .

وفيما يلي الصفحة العنوانية، والصفحتان الأولى والأخيرة التي فيها أيضا خاتمة الطبع وبيانات الناسخ .


هذه
منظومة سعادة
الدارين في اخلاق
سيد الكونين للعالم
العلامة الشهير في وقته
المرحوم المبرور حائز رتبة خواجكان
الدولة العلية المعروف
بفاضل بك عفا الله
آمين

صفحة العنوان



سعادة الدارين

بسم الله الرحمن الرحيم

من بعد حمد الله والصلاة ... على النبي صاحب الآيات
ثم الرضى عن آله وصحبه ... وعن محبيهم وعن محبه
قد ابتدأت بلسان قائل ... أنا الشهير في الورى بالفاضل
ابن علي الطاهر الزيداني ... الحنفي النقشبندي الجاني
وهو الفقير الصفدي وطنا ... لكنه الإسلامبولي قطنا
عن خوجكان الدولة العليه ... أنقذها الله عن البليه
يا أيها الطالب للسلامه ... في هذه الدنيا وفي القيامه
ليس لسعي المرتقي حده ... لكن بتوفيق الإله وحده
إن لم يساعدك الإله الحق ... أول ما يجني عليك السعي
لكننا بالنص قد أمرنا ... بالسعي في الخيرات ما عمرنا
وقد أتى تصديق هذا المدعى ... في ليس للإنسان إلا ما سعى
وتارة قال لنا وسارعوا ... وتارة قال لنا وسابقوا
حق علينا السعي والتدقيق ... والسعي منا ولنا التوفيق

الصفحة الأولي من الأصل المطبوع عنه

من علة قد أورثتني قلقا | وغادرت نهاري مثلي غسقا
فذا أزالت بناظري ضررا | وما كفا الله تعالى الشرا
لا أبصر الخطوط في الكتاب | حتى استعنت لبعض من صحابي
تبييضها في ما قرا المفرحة | ونظمها في وردي المفرحة
وكان قد تم لنا تبييضها | في سنة واضحة تاريخها ١٢١٥
وختمها في ليلة المعراج | بشارة النبوي المناجي
فنسأل الله الذي منه الشفا | ذي يجلو عيناء نور المصطفى
حاشا بأن أفقد نور الباصرة | وخدمتي مدح شفيع الآخرة
صلى عليه الله كل آن | ما تاب واستغفر كل جاني
عليه منا أفضل السلام | وآله وصحبه الكرام

قد تم طبع هذه المنظومة العديمة النظير في بابها المسماة بمنظومة
الفاضلة في بابها لتدرج من الآداب بحسنها ومن الأخلاق
كلها بما يشهد بفضلها كل ذي علم عليم وكيف لا وقد تشرفت
بمدح من قال له الملك العلي إنك لعلى خلق عظيم فرحم الله
مؤلفها وناظرها والمتسببين في أمرها وكان الفراغ
من تحريرها في غرة جماد الثاني من هجرة من أنزل
عليه الكتاب وذلك في سنة خمس وثمانين
ومائتين وألف وصلى الله على من
حوى أكمل وصف وعلى آله
وصحبه وسلم
طبعت في مطبعة ولاية
حلب الشهباء
بقلم المصطفى
جركي
عفي عنه

الصفحة الأخيرة من الأصل وفيها بيانات النسخ

[البداية]

مِن بعد حمد الله والصلاة
على النبي صاحب الآيات
ثم الرضا عن آله وصحبه
وعن محبيهم وعن محبه
قد ابتدأت بلسانٍ قائل:
أنا الشهير في الورى بـ "الفاضل"
ابنُ علي الظاهرُ الزيداني
الحنفي النقشبندي الجاني
وهو الفقير الصفدي وطنا
لكنه الاسلامبولي قطنا
عن خوجكان[1] الدولة العلية[2]
أنقذها الله عن البلية
يا أيها الطالب للسلامة
في هذه الدنيا وفي القيامة

---

(١) الخوجكان : أفادني د. إسماعيل الخالدي بأن لهذه الكلمة التركية معاني متعددة، منها : جمع خوجة (أي عالم)، رتبة عسكرية قديماً، وأنها تكتب (خواجكان) .

(٢) المراد بالدولة العلية : الدولة العثمانية .

ليس بسعي المرء يلقى جَــدَّهُ[١]
لكن بتوفيــق الإلــه وحــده
إن لم يســـاعــدك الإلـه الحيُّ
أول ما يجني عليك الســـعيُ
لكنـنا بالصبر قد أُمـــرنا
نســـعى إلى الخـيرات ما عُمّرنا
وقد أتى تصديق هذا المدَّعـــى
في (ليس للإنســان إلا ما سعى)[٢]
وتارة قال لنا : (وســـارعوا) [٣]
وتارة أخـــرى يقول (سابقوا) [٤]
حق علينا السعي والتدقيـــق
السـعي منا وبـه[٥] التوفيـق

* * *

(١) جَدُّه (بفتح الجيم) : حظه، ومطلوبه

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ سورة النجم ٣٩

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة آل عمران ١٣٣

(٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ سورة الحديد ٢١ وكان الشطر الثاني هكذا (وتارة قال لنا وسابقوا) وهذا مغاير لبداية الآية بدون واو .

(٥) في الأصل « وله » .

المقدمة

اعلم بـأنّ لانجاةَ ترتجـى

لأحـد ولا مـلاذَ يُلتجى

ولا هـدايـةً ولا سـلامة

إلا اتباعُ صـاحب الغمامة(١)

وفي كلا الدارين فالسـعادة

في السـُنَّة الصادقة الإفـادة

وفي الأنـام الفرقـةُ النجيـة

مـن اقـتـدى بسـيد البرية

نَبيِّنا نـورِ الإلـه السـارى

محمـدٍ صلَّـى عليه الباري

واعلم بأن العقل للإنسـان

كصـفة العِـقـال للحيـوان

وأننـا لا كبهائـم الفـلا

لّمـا خلقنـا مـا تُركنـا هَمَـلا

قد جعل العقلَ لنـا مولانا

مـؤدِّبـاً يأمـرنـا ينهانـا

---

(١) إشارة إلى النبي ﷺ، لتظليل الغمام له .

وهادياً الى الفتى في سيره
مميزاً لشره وخيره
وتابعاً[١] أيضاً على الإطلاق
للشرع، والكلُّ من الأخلاق
وحجةَ الله على عباده
والكل قد يفسد من فساده
والعقل عند كل ذي العقول
قد تم في سيدنا الرسول
فكل ما وافقه فعقلُ
وكل ما خالفه فجهلُ
وكيف لا هذا ونورُ العقلِ
مُكتسب من شَرعه[٢] في الأصلِ
وهدي هذا الكون[٣] من آثاره
والعقل قد أضاء من أنوارهِ
وقد أتى بالخلق العظيم
شهادةٌ من ربه الكريمِ[٤]

(١) في الأصل :« وقيماً » وهو يوهم كون العقل قيما على الشرع، والمقصود عكسه .
(٢) في الأصل « نوره » والمقصود شرعه لأنه هو النور الذي جاء به.
(٣) في الأصل « وكل ما في الكون » !
(٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ سورة القلم٤

فـرأسُ كل العقل والكمـالِ
تقليدُك الرسـول في الأعـمالِ
فكل ما عنه أتـى في النقــل
فاعلم بأنــه كمـال العقـلِ
أرســلـه الله إلى الآفـــاق
متمماً مكــارمَ الأخـلاق(١)
وقد شَـذَت (طيبة) منه طِيبـا
وقيــل في (يثرب) : لا تثريبـا
فاصرف إلى منهاجـــه الإرادة
يرشــــدك الله إلى السـعادة
وهــاكَ مني هـذه المنظومـــة
بالسُّـــنَّةِ العليا أتتْ موسومة
سـميتها «سـعادة الدارين»
فيها اتباع ســـيد الكونين
موضوعها في البحث عن كمـاله
وقــولِه، وفعلـهِ، وحـالهِ

(١) إشارة إلى حديث : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه مالك في الموطأ بلاغاً، ورواه أحمد في مسنده بسند صحيح بلفظ « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » ورواه الحاكم والبيهقي بلفظ «بعثت لأتمم صالح الأخلاق » الفتح الكبير للنبهاني، والمقاصد الحسنة للسخاوي ٢١١ .

ميزانها العقل الشريف النبـوي
والخلق المبـارك المصطفوي
لأنـه لا عقـل إلا عقلـهُ
لا مقتـدى للناس إلا فعلـهُ
والكل من سـنته القويمـة
مطـابق للحكمة القديمـة
سـنته شـريعـة[1] لا نهـر
ومنهـل الحكمـة منها قَطـرُ
من أجل هذا قد صَرفـتُ الهمة
لذكر شيءٍ مـن كـلام الحكمة
فكل مـا في السُّـنَّةِ العليَّـة
ذيلتُـه بحكمةٍ عقليـة
ليظهر التطبيق بين الحكمـةِ
وبـين ما يقـول خير الأمـةِ
كذلك القيافـة[2] المجرَّبـة
ذكـرت منها نبذةً مُنتخبـة

(١) المراد بالشريعة هنا : » مشرعة الماء وهو المورد الذي يشرب منه (الصحاح للجوهرى ٣ / ١٢٣) .
(٢) المراد بالقيافة هنا : الفراسة من خلال التأمل في شكل الأعضاء . والقيافة : العلم بالأمور البدنية الظاهرة هيئة وشكلا على سبيل الدلالة والاستدلال بها على ما خفى من السجايا الباطنة والاخلاق الكامنة (عزائم السياسة في علم الفراسة، عبد القادر الحسني الأدهمي طبع الحسينية المصرية ١٣٢٥هـ صفحة ٣) .

حتى ترى[١] أقوالها المؤسسة
شاهدة للحِليةِ المقَدسة[٢]
فأصبحت أعجوبة الحوادثِ
في مائة جاءت من المباحثِ
خلاصةُ المعقولِ والمنقول
نتيجة الفروع والأصولِ
غايتها التأديبُ للطبيعةِ
بما يقول صاحب الشريعةِ
مما نهى عنه النبيُّ أو أَمرْ
والبحثُ في تفصيله خيرٌ وشرْ
لا أذكرُ الحديثَ بالعبارةِ
بل إنما معناه بالإشارةِ
ترجمتها من منطق النبوةِ
ثم الكبار من ذوي الفتوةِ
ثم من الفلسفة القديمة
ومن قريحةٍ لنا سقيمةِ

(١) في الأصل : حتى تكن، والتصويب لمراعاة الوزن مع عدم وجود الجزم الذي تحذف معه النون .
(٢) المقصود بالحلية المقدسة : وصف النبي صلى الله عليه وسلم وهيئته البدنية .

والكل من أبياتها العجيبةِ
من نظمي إلا سبعة غريبةِ

ذكرتها مستحسناً مآلها
وبعضها أذكر من قد قالها

فيا لها منظومة منيفة
جامعة للسنة الشريفةِ

تركيبها ووضعها غريبُ
وقبلُ لم يظفر بها أديُب

جعلتها سَلسَةَ الألفاظ
تصير سهلةً[1] على الحفاظِ

نظمتها لأجل نفسي لا سُدى
ومن يشأْ حَيَّ على فعل الهدى

وما تركتُ سنة ممحصة
حتى أخذتها هنا ملخصة

وما تركت حكمة مستلزمة
حتى جعلتها هنا مترجمة

(١) في الأصل :« حتى تكن سهلا » وهذا غير مستقيم في النحو ;وبالتصويت روعي أيضاً الوزن.

عقليةً شـــرعيةً تُنـــادي

بالرشــــد للمعاشِ والمعـادِ

فاعمل بها ناهيـــة وآمـــرة

تُنجيك في الدنيـا، وثُمَّ الآخرة

ونسأل الله عســـى يهدينا[1]

لمـا بـه النجاة أجمعينـــا

* * *

(١) في الأصل :« أن يهدِيَنا » وفتح الدال يختلف به رويّ القافية .

(١)

بحث
في الدعاء للسلطان

إنَّ إمــام دولــة الإســـلام
يــأمـر بــالـدعـاء للإمـــامِ
وجــاء في الدعاء للســـلطان
وســيلة القبـول والغفرانِ
أول ما يُرســـمُ في الصحيفـــة
فريضة الدعـــاء للخليفـةِ
خليفـة الـرســـول ظـل الله
وخـير آمـــرٍ وخـيرُ ناهـــي
ومهجة العالَم روح الدهـــر
ومقـلة العصـــر وليّ الأمـِر
مؤيد الـدولة والشـــريعة
بالهمة الشـــامخة الرفيعةِ
خلاصة الســلالة العليــة(١)
ومَظهـــر المــواهـب الجليـةِ

(١) يقصد سلالة بني عثمان سلاطين الدولة العثمانية .

أعنى بذاك الكوكب النــورانيِ
شِــعاع شمس الفلك العثمانى
سلطان (سليم) الملكُ الهمــامُ
ومــن بـه تشـــرفَ المقـامُ
أعـلى الملوك شــوكةً وقَـدرا
أســـناهمُ كـرامـةً وفخرا
يا ربنا بالمصطفى وعترتـــه
ومَــن شَـــرَعْنا في بيان سنته
أيِّـدْ لنـا الخاقـان[1] بالعنايـة
وانصــره واجعله سعيد الراية
أيِّــدْ جيوشـه وإعداداتـــه
وانصـــر على أعدائـه راياتِه
ومهـد الأرض لـه تمهيـــدا
واجعـــل ملوكها لـه عبيدا
ووالِ يامـولاي مـــن والاه
ياربنــا وعـــادِ مـن عـــاداهُ

(١) الخاقان : المقصود به (السلطان) واللفظة أعجمية .

وانصر جيوش المسلمين نصرا
واقهر جنود الكافرين قهرا
دام وجوده وطال عمُره
ودام ملكه وعَزَّ نصرُهُ

* * *

(٢)
بحث
في التشبه بَهدى الرسول[١]
صلى الله عليه وسلم

ياطالباً للحق من جهاته
مقتبساً للنور من مشكاتهِ
إنَّ النبي منهلُ الإحسانِ
ومشرقُ الأنوار والعرفانِ
سعادة الدارين في اتباعه
وبهجة الكونين في شعاعهِ
ومظهرُ الفرقان عين الجود
وباعثُ التوحيد في الوجودِ
ومَنْ عليه أُنزل الناموسُ
وهو الذي قال له القدُّوسُ :
لولاك هذا الفلكَ ما خلقتُ
وأنت نورى منك قد اشرقت[٢]

---

(١) في الأصل : بروحانية الرسول . والأولى ما اثبت فهو منسجم مع قوله تعالى في حق الأنبياء ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ سورة الأنعام / ٩٠ وقوله تعالى ﴿ وانك لتهدي إلى صراط المستقيم ﴾سورة الشورى / ٥٢ .

(٢) يشير إلى حديث « لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك » قال الصغاني : موضوع .
وانظر مزيد كلام عليه في الضعيفة ٢٨٢ للألباني رحمه الله

فهو حبيـــب الله في الآيـات
معلِّم الأســـماء والصفات
لا شرعةٌ[١] في الكون إلا عنــهُ
لا منهـجٌ للناس إلا مـنـهُ
وكـــلُّ مـا قـــد كـان مـن وليِّ
فصـادرٌ عــن بابــهِ العلـيِّ
وكـــل مــا لله مــن طريقـــة
مـأخـوذة منه عـلى الحقـيقــةِ
مغترف من رشحات بـــحرهِ
مختطف مــن لمعــات بـــدرهِ
وشرط من شــاء له اتباعـــا
أو اقتراباً[٢] منـه وانتفاعــا :
١- الاقتداء[٣] مخلصا في نيتــه
مســـتحضراً للنور من هدايته
مستحضراً هـداه[٤] كل ســاعة
في خلــوةٍ إن كــان أو جماعة

---

(١) في الأصل : لا مدد . وفي الشطر الثاني : لا نعمة في الناس إلا منه !
(٢) في الأصل : أو مدداً .
(٣) في الأصل : ان يتوجه . وفي آخر البيت كانت : روحانيته .
(٤) في الأصل : إليه !

وصفة استحضار نبع(١) الذكـــر

أن تـــتراءى رجـــلا في الفكـر

على صفات الحلية المطهـــرة

ثيابـه وذاتـــه منـورة

فإن حُرمتَ ذاك فارســم اسمَه

بالنـــور في الخيال وانظر رسمَه

أو لم يكن فالروضة المنـــورة(٢)

في القلب ان يجعلها مصـــورة

وكـلـما صليت كـن مشـــيرا

لنحوها موقـرا توقيـــرا

قالوا: وهـــذا غرض الأوائل

من رســمها في أول الدلائل(٣)

وكلما يُـذكـر فخـر الأنبيـا

فـقُـمْ معظماً لـه مصليــــا

٢- وأن تُرى(٤) مقتدياً بشــرعه

وما انطوى في أصلــه وفرعهِ

هذه عقيدة باطلة صوفية يسمونها بالاستمداد وقد أوضحها الشيخ الهلالي [illegible] في كتابه رحمه الله الهدية الهادية ص ٨ ثم و ٧٦ فراجعه فإنه مهم والقيام عند ذكره [illegible] بدعة و[illegible] دلائل الخيرات كتاب مشتمل على بدع وشركيات والله [illegible] من ضلالات التصوف.

(١) في الأصل : ووصف استحضاره في الذكر .

(٢) إشارة إلى (الروضة) في المسجد النبوي .

(٣) يقصد كتاب « دلائل الخيرات » للجزولي، فقد اشتملت طبعاته على صورة خطية للمسجد الحرام وصورة خطية للمسجد النبوي .

(٤) في الأصل : وأن تكن وصوابه : وأن تكون ، لكنه يخل بالوزن .

وصفة استحضار نبع[١] الذكـــر
أن تــتراءى رجــلا في الفكـر
على صفات الحلية المطهـــرة
ثيابـه وذاتـــه منــورة
فإن حُرمتَ ذاك فارســم اسمَه
بالنـــور في الخيال وانظر رسمَه
أو لم يكن فالروضة المنـــورة[٢]
في القلب ان يجعلها مصـــورة
وكـلـما صليت كـن مشـــيرا
لنحوها موقـرا توقـيـــرا
قالوا: وهـــذا غرض الأوائل
من رســمها في أول الدلائل[٣]
وكلما يُـذكـر فخـــر الأنبيـا
فـقُـمْ معظماً لـه مصليـــــا
٢- وأن تُرى[٤] مقتدياً بشـــرعه
وما انطوى في أصلــه وفرعهِ

(١) في الأصل : ووصف استحضاره في الذكر .
(٢) إشارة إلى (الروضة) في المسجد النبوي .
(٣) يقصد كتاب « دلائل الخيرات » للجزولي، فقد اشتملت طبعاته على صورة خطية للمسجد الحرام وصورة خطية للمسجد النبوي .
(٤) في الأصل : وأن تكن وصوابه : وأن تكون ، لكنه يخل بالوزن .

٣- مهتدياً بالخُلُق السنـــيِّ
مثل مـا جـاء عـن النبـــيِّ
في أكله، وشــربه، وسنتــه،
وقـولـه، وفعله، وحالتـــه
وعــامــلاً بهـذه الآثــــار
في الســـر والخلوة والجهارِ
٤- ومكثراً أيضا من الصــلاة
عليه في العَشِـــي والـغَـداة
٥- مُعظِّماً لقوله، وسنتــــه،
وآلــــه، وصحبـــه، وأمته
بحسب الطاقة والإمكـــان
والحــال والـعــادة والزمـــان
قالوا: ومن دام على هذي الصفـة
يصير لا بـد مـن أهـل المعرفة
هدي الرســـول جاء بالعنايـة[1]
في هـذه الدنيا وفي النهايـــة
قالوا : ومن لم يَكُ يلقى مرشـــدا
وكـــان في سلوكه مــــردَّدا

(١) في الأصل : « يدركه الرسول بالعناية » والتعديل واضح السبب فالتمسك بسنته ﷺ يصلح حال الإنسان في الدنيا والآخرة .

فكثـرة الصـلاة والتقليـــدِ
تكفى عن الأشـياخ للمريدِ
قـد قلت ما يليق بالخـــواص
مع أنني المجـرم ذو المعاصي
من لا تليق نفسه الدنيـــــة
لينتمي للحضرة السنيـــة
نعم يليق إن يكن أمثالـــي
كلباً على باب الرســـول العالي
قلت: كفى فخراً لكـــل واعِ
فالكلب محســوب من الأتباع
كفى لروحي شرفا وجســمي
إذا غـــدا (كلبَ النبي) اسمي
لا أرتـضي كـونَ الهـلال طَوقي
كلا، ولا الشـمسَ غطاءً فوقي
حاشـا بأن يَهلِك كلبُ المصطفى
وكلبُ أهل الكهف حقا قد نجا
صـلى عليه الله بالأصالـــة
ما طلع الهلال والغزالـــة[1]

هذا غلو لا ينبغي ولا ينبغي لعبد أن يهين نفسه ويذلها إلا لله اللهم ارزقنا اتباع سنة نبيك صلى الله عليه وسلم آمين

(١) الغزالة : اسم للشمس .

(٣)

بحث

في فضل الحلية الشريفة[١]

قد أشرقت ديباجةُ الصحيفـــةِ
منيرة بالحلية الشـــريفــةِ
حلية من قـــد خُـصَّ بالبهاء
ووجهه كالشمس في الضيـاءِ
وهـــو الـــذي تُظله الغمامـــة
ووصـــفه كـــان عظيم الهامة
وربـعـــةٌ في قـــدهِّ الجميـلِ
وليس بالقصـــير والطويلِ
لكنه للطول كـــان أقـــربا
أعـلى الأنـــام قامةً وأنســـبا
من وصف حُسن سـيد الكونين
جـــاء : وكان أدعـج[٢] العينين

(٢) المقصود هيئة النبي ﷺ وبعض شمائله . وقد جاء ذلك الوصف من صغار الصحابة، لأن كبارهم كانوا يتهيبون التحديق في نظرهم إليه عليه الصلاة والسلام وينظر كتاب الشمائل، للترمذي وغيره من كتب السيرة .

(٢) الدعج : شدة سواد العينين، مع سعتها (الصحاح ١ / ٣١٤) .

وصـــفهما المنيفُ هو أدعـــجُ
وفيهما مـــن حُمـــرةٍ تمـــوُّجُ
ووجههُ البشـــيُر كان أنورا
ولـــونـــه المنـــير كـــانَ أزهـــرا
فيا لنورِ خـــدّهِ الأســـيلِ
ويالحســـن طرفه الكحيـــلِ
كان أزَجّ[1] الحاجبين شـــكلا
أبلج[2] ما بينهما وأجلـــى
وجـــاء : كـــان واســـعَ الجبين
وأفلجَ[3] الأســـنان باليقـــين
يفترُّ بالحسُن لـــدى التبســـمِ
عن مثـــل حبات الغمام في الفمِ
كـــان رقيق الشـــفتين حُسنا
وأنفه الشريفُ كان أقنـــى[4]
وشـــعرهُ لا جعد ولا قطط[5]
بل إنه قد كان - قالوا - في الوسط

(١) أزج من الزجج، وهو : دقة في الحاجبين وطول (الصحاح ١/٣١٩) .
(٢) ابلج من البُلجة، وهي : نقاوة ما بين الحاجبين، أي ليسا مقرونين (ألصحاح ١/٣٠٠).
(٣) أفلج وهو : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات من الأسنان (الصحاح ١/٣٣٥) .
(٤) أقنى وهو : احديداب في الأنف (الصحاح ٦/٢٤٦٩).
(٥) قطط وهو شديد الجعودة (الصحاح ٣/١١٥٤) .

وأحســـنَ الأنــام كــان عنقا
لا قِصــر لا طُـول فيه حقـــا
يـبـدو بـوجـه نـيرّ كالبــــدر
وواســـع الظهر عريض الصدرِ
وخاتم النبوة[١] النـزيـــه
قــد كــان بين الكتفين فيـــهِ
والبعض قال فيه قولاً أنســبا:
للمنكب الأيمن كان أقــــربا
والشامة الســـوداء فيه ساطعة
تضربُ للصُّـــفرةِ وهي فاقعة
والـشـعـرات حولها منيــــرة
على التوالي نبتها مديـــــرة
تشـــبيهها كَعرف للفــــرسِ
كذا أتى في وصـــفها المقدسِ
ومنكباه أشـــعريـن كانـــا
بعيــد ما بينهمـــــا مكانا

(١) ورد ذكر خاتم النبوة في أحاديث عديدة منها حديث سلمان عند إسلامه ونظره إليه حيث كان من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة .

وفيهما قد كانت العظـــامُ
عظيمة رؤوســـها ضِخامُ
وكــان لحـم بطنه لا يبـــدو
وليس بعض فــوق بعض يغدو
مثل القضيب شــعره من لَبّته[1]
متصـل بينهمـا لســـرّته
وكــان ليس غـيره من شـــعر
أصـلاً على البطن ولا في الصدرِ
معتدل الخلقة كـان في السِّمَنْ
كان لـه ثلاثة من العكـــنْ[2]
واحـــدة تُســـتر بـــالإزار
والاثنتـــان مظهر[3] الأنـــوار
بدنه في آخـــر مـن الزمن
ما اختل لكن جسـمه من السِّمَنْ
كأنه في خَلقـه القـــديمِ
واللحـــم في تماسـكٍ قـويمِ

(١) اللبة : موضع القلادة من الصدر (الصحاح ١ /٢١٧)
(٢) العُكَن : طيات البطن من السِمَن .
(٣) في الأصل « واثنانها » بإثبات النون في المثنى مع كونه مضافاً كما أن القاعدة أن يقال :« اثنتان » في تعداد المؤنث .

عبل[1] الذراعين وعبل العضدِ
كان طويلَ الزند مبسوط اليدِ
وسائلَ الأطراف رحبَ الراحــةِ
جميعهُ في غــاية الملاحـةِ
كـان لـه أصابــعٌ حِســـان
كأنهـا[2] من فضـة قضبـانُ
وعن علي المرتضى روينــــا :
يخطو تكفّؤاً ويمشـــى هونا
كأنما ينحطّ - كان - مـن صَبَب
ومــا به من كَسلٍ ولانَصَب
وليس يلوي عنقـــه إذا التفت
بل بجميع جسـمه[3] كما ثبت
يقول من ينعتُ: كان شـــكلهُ
والله مـــا رأيــت قــط مثلـه

(١) عبل الذراعين : أي ضخمهما (الصحاح ٥/١٧٥٦).
(٢) في الأصل : « تخالها » وهي تقتضي نصب (قضبان) مع أن نهاية الشطر الأول مرفوع .
(٣) في الأصل :« بل بالجميع يلتفتْ» بتسكين التاء من الفعل المضارع المستوجب الرفع للتجرد عن الناصب والجازم .

وكـــل مـــن جالســهُ يُحبـــــه

خير الـــورى، صلى عليـــه ربهُ

صلى عليه الله بالتـــــــوالي

عـلى مـــدى الأيـــامِ والليالي

* * *

(٤)
بحث
في علم القيافة على رأي العلماء والحكماء[١]

يا أيها المصغي بقلبٍ صـــاحِ
لوصفنـــا لسيد المِـــلاح
يلزمُ أن نذكر باللطافـــة
مُختصـــراً من زبـدةِ القيافةِ
تجمع في أبيـاتها المرتَّبـــة
خلاصـة القيافة المجُرّبـــة
نذكر أعـضـاء جميع الجسـدِ
ليُعرف الممـدوح منها والردي
هــذا لكي يظهر بالدليـــل
أيضـــاً كـمالُ حليـة الرسولِ
وإنَّ وصـف الحليةِ المُشـرفة
جاء كَطِبــقِ قولِ أهلِ الفلسفة

(١) أتى بهذا البحث، لمراعاته فيما أورده قبله من أوصاف النبي ﷺ لإظهار علاقة ذلك بالنباهة والذكاء كما أشار لذلك في البيت الخامس من هذا البحث والقيافة المشروعة هي الاستدلال بها على النسب بصفتها قرينة وليس في الحكم على الناس ! .

ثم على قـــول الإمـام الـرازي

والشـــافعيِّ الفاضل الممتازِ

الرأس :

(الرأس) قالوا أصدقُ الأعضـاءِ

دلالـــــة لأكـثـرِ الأشيـــاءِ

لأنــه الجامـع للحـــــواس

وهـو لهـذا العلم كالأســـاسِ

أحســنها المعتدلُ التقــويمِ

وليس بالصــغيرِ والعظيـــمِ

وأجمـعـوا بـأن عُظـمَ الهامــة

إلى شـجاعة الفتى عَلامـــةِ

وشرطــه في عظمه المحمـــود

تناسبٌ لِبنية الوجـــــودِ

ما كـان فيه من نتوءٍ ظاهـــرِ

في مَقْدمٍ أو أوســـطٍ أو آخرِ

دلالـــةٌ للعقـــل والفـــلاحِ

لأنهـا مواطـــنُ الأرواحِ

تصفُّط الرأس كمثل الكرسي
(قالوا) دلالةٌ لخبث النفسِ

وإن يكن رأسٌ كبيرا حجما
مشابهاً رأسَ الحمار عُظْما

دليلُ سوء الفكرِ والبلادةْ
مع اضطرابِ الرأي والإرادةْ

الحَدَب :

وكل (أحدبٍ) دليلٌ قطعي
لخبثِ نيةٍ وخبثِ طبعِ

القِصَر :

كل (قصيرِ) القدّ فهو فتنة
لكنه أيضاً محل الفطنةِ

وكل ما للأرض (قالوا) يقرب
يقربُ شَرُّه كذاك جرَّبوا

الطول :

ذو (الطولِ) لا مكرَ به لا عوجا
إلا إذا كان طويلاً كوسجا[1]

---

(١) الكوسج : الذي لا شعر على عارضيه (المعجم الوسيط/ كسج) ٢/ ٧٩٢

يوصف بالحمقِ طويلُ القامــةِ

لكن سـليم الصدر من لآمةِ

وقد أتى في وصف هذي الأمـةِ

أوسـطها[1] للعلم ثم الحكمة

أقــصرهــا لفطنة وكــــرب

أطــولهــا لهـيبـة وحـــــرب

العين :

و(العين) عنوانٌ الى القلــوبِ

تُظهر ما فيها من العيـــوبِ

وأفـضـلُ العيون للنُقّـــــاد

نقيةُ الـبـيـاضِ والســـــوادِ

بَراقـةٌ لَوزيةٌ في الوصــــف

فيها رطـوبـة بغير ضعـــفِ

أنظارها وهَّابـة نهّابـــــة[2]

تخالـط الســـرور بالمهابـــةِ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ سورة البقرة الآية / ١٤٣ .

(٢) وهابة : تهب البهجة والسرور، نهّابة: تشد الناظر إليها .

في حجمها وسطــة مقبولـــة

شــهلاء أو خفيفة الشهولةِ[١]

قالوا : وبعض أعـين شـريفـة

تبصرها ضحاكـة لطيفـــةِ

أنظارها تشبه كـــــلَّ آن،

من غير قصـد، نظرَ الصبيانِ

علامة الأفـــراح والتملّـــقِ

وطـول عمر ثم حُسن الخُلُقِ

والأعـُـين الردية المحققـــــة

سـريعةُ الأجفان ثم الحدقــة

جـوالـة صغيرة مـــــردّدة

تخالها مثـــلَ عيون القِــرَدة

دليلةُ الـدهـاءِ ثـم المكـــــرِ

وخبـثِ نيةٍ وســـوءِ فكرِ

والمُقلَة العظمــاء بالزيـــادة

صاحبها كســـلان ذو بلادة

---

(١) الشهل : ان يشوب سواد العين زرقة (الصحاح ٥/١٧٤٣) .

والمُقلُة الغوراء ثم الكامنـــة
دلت على الدَّهَا وخُبثِ الباطنة
على الخصوص إن تكن خفشاءَ[1]
في لونها زرقـــاءَ أو خضـــراءَ
الشافعي قال: استعيذوا ابتعدوا
منها كإبليسَ اللعين والعـــدو

الحاجب :

والعَرْضُ في (الحاجب) ثم الطـــولُ
ثـم كـثيرُ الشـعر المـوصـولُ
دليلُ ســـوءِ الفهم والحماقة
وعكسُـــه المحمودُ في الحذاقة
والحـــاجبُ العريض والقصير
كالدال رســـماً فهو الشِرّيرُ
أو رَكِب الحاجـــبُ فوق الجَفْنِ
دلّ على شـــجاعة وذهـــنِ

(١) الخفشاء : الخَفَش، وهو : صغر في العين وضعف في البصر خلقةً (الصحاح ٣/١٠٠٥) .

الجبين :

كــل (جــبــينٍ) بــارزٍ معتــدلِ
فهو دليـــل العقل عند الكُمَّلِ

وأمـلـسُ الجبين ذو بلاهـــة
وقـلّ أن يُلفى به نبـــاهة

والعُظمُ فيه قد يشـير للبَلَـه
وعرضُـــه لفقدِ عقلٍ ووَلَـه

وإن يكنْ مـــدوَّراً صغـيــرا
كــان إلى جهالةٍ مشـــيرا

الأنف :

وكـــل (أنفٍ) أفطسِ الأركان
وواسـعِ المنخر كالســودانِ

دلالــةٌ للجهلِ ثم الغضـــبِ
وقـوةِ النفس[1] وتـركِ الأدبِ

والاستوا ورِقّـةٌ في الأرنبــه
ثم ارتفاعُ الأنف نعمَ الموهبة

(١) المقصود بقوة النفس هنا : الجرأة غير المحمودة . وقد استخدمها الناظم عند الكلام عن الكتف(صفحة ٣٣) بالمعنى المحمود الذي هو الأصل

دلائــلٌ للعقلِ ثم النفـــعِ
وجـودةِ الفهم وحسنِ الطبعِ
والغِلْظ في الأنوف باعوجاجِ[١]
دلالـــة لِسَـــــوءة المـــزاجِ
ثم اجتماع الشحم فوق الأرنبه
مذمومة مــع انتفاخ القصبة
تَقَنطرُ الأنــف كنصف دائـرة
دلالــة على الحَســود ظاهرة

الأذن :

و(الأذن) الكبيرةُ المقـــدارِ
دلالــةٌ للطول في الأعمـــارِ
لكنها لشــبه البهائــمِ[٢]
للجهل جاءت أصـــدق العلائم
وجرمها ان كــان بالصـــغير
إشـــارةٌ للعُمر القصـــــيرِ

(١) في الأصل « والغلظ في الإنف بإعوجاج » بهمزة قطع لكلمة (إعوجاج) مع أنها همزة وصل .
(٢) في الأصل (لكنها للشبه بالبهائم) بتسكين آخر كلمة (الشبه) ولا موجب للتسكين .

وكـــل مـسـتـديـرة دقيقـــة
وهي لخلف الرأس كالملصـــوقة
دلالـــة إلى الذكـــا والعقل
وخفةِ النفس وحسن الأصـــلِ

الفم :

ثم اتساع (الفم) نعمتِ الصفة
لكن إذا كان رقيقا للشـــفة
وذُمَّ في الأفـــام كـلُّ غائـــر
أيضاً وكـــلُّ بـــارز وظاهــــرِ

الأسنان :

وأفلج (الأســنان) في الرجال
جيّـــــدُ أخـلاقٍ بلا إشكالِ
والعُظْم والقوة في الأســـنان
دليل طول العمر في الإنســـانِ

الشفة :

و(الشفة) الرقيقة الحمـــراءُ
مع صِغـــر الفم هي الحسناءُ

وهي دلالة لحُسن العقل
وحسن أخلاقٍ وحُسن فعلِ
وغِلَظ الشِفاه في الإنسان
دلالة للحمقِ كالسُّودانِ
لاسِيَّما السُفلى إذا تدلت
فَهْيَ على فقد العقول دلَّت
تَقَدُّم العليا على السُّفلاء
يُمدح لا السُّفلى على العُلياء[1]

اللحية:

و(اللحية) العظيمة الأركانِ
دلّت على بلادة الإنسانِ
وكل كوسجٍ فذو كياسة
وذو فطانة وذو فراسة

الشَعر :

و(الشَعْر) فالأجودُ منه الأوسطُ
في قِلّة وكَثرة لا المُفرِطُ

(١) السفلاء : السفلى، والعلياء: العليا، ومدّ المقصود مما يسوغ في الشعر .

وفي خشونة وفي جعـودة
فهـذه صفاتـه المحمـودة
هـذا دليـلُ العقـل والـذكـاءِ
وجـودة التدبيـر والآراءِ
وكـل شعـرٍ شاخـصٍ وقـائـمِ
مَشابـهٍ للشعـر في البهائمِ
دلـيـل سـوء الفهم والـبـلادة
وحَسْبُـك الـسـودان للشهادة
وأسـودُ الشعر دليل المنفعـة
والأحمـرُ الـناريُّ فيه المشنعة
وهـو دليـلٌ واضـح كالفلَـقِ
لقسوةِ القلب وسـوء الخلقِ
وحسبنا أن الـرسـول قد ذَكر
لا خير في أشقر مِنْ بعدِ عُمر[1]
قـالـوا : وإن أشقر الشعـورِ
عـلامـةٌ للضيغم[2] الجسَـورِ

في كشف الخفا ٢-٣٦٢م/٣٦٤م
حديث: لا خير في أشقر بعد عمر.
قال العجلوني: هذا يجري على
ألسنة الناس ولم أقف له على
أصل. ولعله موضوع فإن عمر
رضي الله تعالى عنه لم يكن أشقر فراجعه

(١) في الأصل « قدأمر » وهذه المقولة ..
(٢) الضيغم الأسد ، ويقصد به الرجل الشجاع .

أيضاً على الهمة، والحريـــة
دليلةٌ، لا كُلُّها رديّـــــة
والـشرط للمذموم في الدلالــة
أن لا يكاد ينظر الغزالـــة[١]
وأن يكـون أزرق العيَنيــن
وأشقرَ الشـــعر على الجفنَين
الوجه :
قالوا: وعرضُ (الوجه) فوق العادة
دلَّ على الخمول والبــــلادة
والمستدير موجبُ الحماســـةِ
لكنْ دليلُ قلةِ الكَياســــةِ
وكثرة الشحم أعلى الوجـــوه
دلالـــة للحمَق المكــــروهِ
والشحم على الوجه باعتـدالِ
علامة للعقل في الرجـــإلِ
وبـــارز العظم ليُبس وجهـــه
فاحكم بخبثِ طبعه وكرهـــهِ

(١) الغزالة : الشمس .

العنُق :

و (العنُق) الغليظ والقصـــيرُ
فهو إلى شجاعة مشيـــرُ
وعكسه الرقيق والطويـــلُ
فهو إلى جُبـنِ لنـا دليـــلُ

الصدر :

وأجمعوا أن وسيـعَ (الصدر)
كثير رُوح وطـويـلُ عُمْـــر
وإنــه أيـضـاً دليـلٌ قطعـــي
لجـودة الفهمِ وحُسن الطبـعِ
وضَيِّقُ الصـــدر أتى بالعكس
ضعيفُ فَهـــم، وضعيف نفسِ

الكتف :

و(الكتف) الذي اكتسى بلحمٍ
فهو دليـلُ قـوةٍ في الجســـمِ
وصحة المــزاج والشجاعـــة
وقوة النفس[1] والاســـتطاعة

(١) قوة النفس هنا يقصد بها الصفة المحمودة، بخلاف ما سبق عند الكلام عن الأنف (صفحة ٢٨).

المنكب :

ومن يكن بَعيـد بينِ (المنكبِ)

وفيه لحـمٌ سـاتـرٌ للعصـــبِ

فهو صحيح الفهـم والتركيبِ

وهو قـــويُّ القلب بالتجريبِ

العضد :

و(العَضُد) الممدوحُ فاشتراطُـهُ

من مرفق للكف انخراطُـــه

وبطنه كمثل بطن السمكـة

لكن قصيره عديم البركـــة

البطن :

و(البطن) منه إنْ خلا عن شَعر

دليلُ فهمٍ وصـــوابِ فِكـــرِ

الإصبع :

قالوا: وطولٌ في (أصابع) اليـد

تبنئ عن صِحةِ خَلْقِ الكبـدِ

وجودةٍ في العقل ثم الطبـــعُ[1]

وشرطها اللين وحسن الوضـعُ

الظفر :

صلابة (الأظـفـارِ) والأضراسِ

دلالــــــة لـقــــــوة الأســــاسِ

الشامات :

من كان فوق الخد منه (شامةٌ)

عظيمةٌ بَــشِّره بالشآمـــــةِ

وكثرةُ الشامات في الخـــدودِ

أيضاً دليلٌ ليس بالمحمـــودِ

وإن تكن بالأنفِ فوق الأرنبــة

فلا يعيش نسله، مُجربـــــة

أو كان فوق كَتِفٍ منه شامــة

مما يلي الوجه هي الكرامـــةُ

أو كان فوق الكَتِف اليمـــينِ

من شامة مشعرة التكويـــنِ

---

(١) أي شرط الأصابع لكي تبنئ عن صحة الكبد : أن تكون لينة حسنة الشكل .

سوف يَرى الأول حظّاً عاليــاً

وإنــما الثاني يكون واليـــــاً

أو كــان بين الكتفين شامـــة

بــشره بالمُلك وبالشهامـــةِ

وإن تكن من ظهره في السلسلـة:[1]

أمــوالُــه كثيرة مُسلسلـــــة

أو فــوق إصبعٍ وفـــوق كف

دلالــة الحـظ الــرديّ تكفـــى

أو فوق ثديَيْه تكن بَّراقَــــة

كان ودوداً صــادقَ الصداقـــة

وإن تكن في زنــده محقـــقُ

كثيرُ أسفارٍ ومنها يُــــرزقُ

أو فــوق سُرّة فبالإجمـــاعِ

كان كثيرَ الباهِ والجِمـــاع[2]

أو كان فوق منبت من عانتـــه

مستكثر الذكور من ذريتـــه

---

(١) أي العمود الفقري .

(٢) الباه هو الجماع . فهذا من قبيل عطف البيان .

وإن تكن من فوق فخذ أيمـــنِ[1]

كـان رئيسا عالما في الزمـــنِ

وإن تكن من فوق فخذ أيســر

يربح من مَتاجر في الســـفـرِ

وإن تكن من فوق ظهر القَــدَمِ

دلالــة الى الشقي المجُـــــرمِ

* * *

(١) في الأصل (الأيمن) وفي البيت التالي له (الأيسر).

(٥)
بحث
في العقل وفضيلته وماهيته

إنَّ النبيَّ المصطفى المُكرَّما
صلى عليه الله ثم سلَّما
قد كان أوفرَ الأنام عقلا
منذ نشا طفلاً وثُمّ كهلا
دانت له قريشُ أجمعونا
وكان يُدعى صادقاً أمينا
ومنِ حديثٍ واضحِ اليقين
قد جاء عنه : العقل أصل الدين
ومن قبيل هذه الآثار
قد جاء ما معناه في الأخبار
كمثل: رأسُ العقل في الإنسان
مخافةُ الله عظيم الشان[١]

(١) أخرج الحكيم وابن لال عن ابن مسعود مرفوعاً «رأس الحكمة مخافة الله». وأخرجه البيهقي في الدلائل وغيره (كشف الخفاء ٤٢١)

ومثل: يا عويمر ازدد عقــلا
تــزدد من الله تعالى وصــلا
وجــاء ذكــر العقل في الكتــاب
في ﴿ واتقون يا أولي الالبــاب ﴾[1]
وقــال أيضا ربنا المجيـــدُ:
﴿ أليس منكم رجلٌ رشـيدٌ ﴾[2]
وربُّــنـا قـد ركَّــب الملائكـــة
عقلا بغير الشــهوات الحالكــة
وركَّــب الـكُـلَّ من البهائـــمِ
مِن شــهوةٍ بغير عقلٍ حاكــمِ
وركَّــب الإنسانَ من كليهمــا
حتى يَـرى جهاده إليهمـــا
من غلبت شهوتهُ والجهــلُ
فـذاك كالأنعام بل أضـــلُّ
أو غلب العقل لدى المعاركــة
صــار له الفضل على الملائكــة

(١) سورة البقرة الآية/ الآية ١٩٧
(٢) سورة هود الآية / الآية ٧٨

قد جعل الله تعالى الحدسـا
لكل شـيء عُـمُـداً وأُسّـا

يهدي الفتى العقلُ الى الجِنـان
أيضـاً ويحميـه عن النيران

العقل فينا أحسـن المواهب
والجهل منـا[1] أقبح المصائب

والعقل فينا أشرف الأشـياءِ
لأنـه الينبـوع لـلأداءِ

العقل جوهرٌ شـريفُ الطبع
وللطباع هو رأس النبـعِ

العقل فينا أشرف الأحسـابِ
وأفضل الفَخار والأنسـابِ

العقلُ للمرءِ وزيـرٌ ناصـحُ
وإنـما الهـوى وكيلٌ فاضـحُ

ولا صـديقَ للفتى كعقلـهِ
ولا عـدوَّ ظالماً كجهلـهِ

---

(١) في الأصل « الجهل لكن ».

ما يــأذن العقل به صـــوابُ
ما يأمر الجهلُ به مَعـــابُ
ما اســتودع اللهُ امـرءاً من لبّ
إلا ينجّيه به من كَـــربِ
وهـــذه الدنيا بـه مُدبّـــرة
وهي على أحكامه مقـتـدرة
بالعقل يجرى ظاهر الأحـوالِ
وليس يرضـى اللهُ بالمحُـالِ[١]
للعقل قد يحتاج كل طـالبِ
والعقل محتاج الى التجـاربِ
علامة العاقل في عرفانـــهِ
تــراه مقبـــلا لأجـل شـانه
ومعرضاً عن كـل ما لا يعنيِ
وعكســه الجاهل فا حفظ عني
للعقل ســلطان بلا جحافلِ
يحكم في باطن كـل عاقـلِ

(١) أي لا يرضى الله من العبد محاولة فعل المستحيل لما فيه من مخالفة سنن الله في الكون .

أشد من سلطان سـيف قاتل
يحكم في ظاهر كل جاهـلِ
العقلُ سـلطان على البريَّـةِ
لـه الخـصال كلها رعيـةِ
إن ضَعُف العقل عن القيـام
بهـا تكنْ سـيئةَ النظـامِ
كـلُّ مسـيءٍ آمـنٍ فجاهـلُ
والمحسن الخائف فهو العاقـلُ
والقولُ في الشاطر من أهل الدَها
مع غفلةٍ، أهَل يُسـمّى عاقلا ؟
فقال قـومٌ : عاقـلٌ بالفعـلِ
ذا [1] لاعتبارهم وجود العقـلِ
وغيرهم قد قـال بالسويـة
لا عاقل بل جَيِّد الرويـةِ
لأنَّ اسم العقل والفطانـة
يُـشرط فيه الخـيرُ والديـانـةِ

(١) زدتها تفاديا لجعله همزة اعتبار همزة قطع مع أنها وصل

قيل: الدماغ مستقر الحدسِ
لأنه فينا محل الحِسِّ
وقيل: في القلب على القياس
ذامنشأ الحياة والحواسِ
وهو على معنى الحديث واقعُ
العقلُ نور في القلوب ساطع
يُفرِّقُ بين الحق ثُمّ الباطلِ
فقولهم "في الرأس" قولُ جاهلِ
وقولهم «ذا جوهر لطيف»
فهو كلام فاسد سخيف
لو كان كالجوهر في صفاته
لكان قائما إذاً بذاته
وصَحَّ أن يكون في الوجودِ
عقل بغير عاقلٍ موجودِ
كما ترى الجسم بغير عقل
له وجود قائم بالفعلِ
والعقل قسمان : فمنه مُكتسب
ثم غريزيٌّ له المولى وَهَب

كما ترى البعض من الصبيــان
في سـرعة الإدراك والإذعــانِ
فـواحـــدٌ مـولَّـد في الطبــع
وآخـرٌ مستجلب بالســمعِ
قالوا : وليس نافعاً مســموعُ
بنفسـه إن عُــدم المطبوعُ
أي إن خلا [العقل] الغريزي[1] في أحد
يقوده إلى عيــوب لا تُعــد
والقول في المكتســبِ العزيز[2]
لأنَــه نتيجـة الغريـــزي
وهــو عــبارة عــن الإدمــان
ولا لـه حَــدٌّ كمثل الثـــاني
لأنــه ينقص ان أهملتَـــهُ
لكنه ينمو إذا استعملتـــهُ
وقد تزيد المستفادَ التجربــة[3]
ولا زيــادةَ لعقلِ الموهِبــــة

(١) في الأصل : أي أنه خلا الغريزي .
(٢) في الأصل : الغريزي، وهو خطأ من الناسخ كما هو واضح.
(٣) في الأصل : « فالمستفاد قد تزدْه » بالجزم ، ولا موجب للجزم .

والشيخُ قد تنقص منه قُوّتُــه
لكن يزيد عقلهُ وخِبرتـــه
وقالوا : من عاش وصار كهلا
أفــاده كَـرُّ الليــالي عقــلا
وآيــة العقل ذكـاء الفهــم
وغاية الفهم صـوابُ الوهــمِ
مذمومةٌ أيضاً زيـادة النُهَــى
لأنهـا تُفضي لمكرٍ ودهــا
كفى الفتى من عقلهِ في حَــدّه
ما دلـه على سبيل رُشــدهِ
ورأس عقل المرءِ عند الألمعــي
الفرق للجائز والممتنــعِ
في وصفه قد قال بعض الكُمّلِ :
قياسك المـاضي بالمســتقبل
تعريفُه: وقوفُنا بلا خـــلل
عند المقاديرِ بقولٍ وعمـــل
العقل: أن تُعطي الأمور حقَّهـا
وأن تـداري فَتقها ورتقهـا

العقلُ: فطنةٌ على التحقيـقِ
توقظها عنايةُ التوفيـــقِ
فيا لهَـا عنايةُ عُظمـــاءُ[1]
يمنحها الله لمـن يشـــاءُ
من لم يكن أكثر ما فيه النُهَـىُ
يُهلكة أكثرُ ما فيه انتهـــى

* * *

(١) يقصد (عظمى) ومد المقصور سائغ في الشعر .

(٦)
بحث
في الاعتدال

إنَّ النبيَّ صاحبُ الكمـــالِ
ومحدث العدل والاعتـــدالِ
أخلاقه جميعها مُكمَّلـــة
مَرضيةٌ عـادلـةٌ معتدلـــة
وكـل ما فيه من الخصـــال
بالاعتدال - كان - والكمـــالِ
«خيرالأمور»في الحديث«الوسطُ»(١)
كقولهم : إن التناهي غلـــطُ
قد جعل الله مـزاج العالِـــمِ
مركبا بالاعتدال الدائـــمِ
لأجل ذا من لم يـراعِ حـــدَّهُ
أفسد منه نفسَه وجِـــدّه(٢)

(١) أخرجه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بلفظ « خير الأمور أوسطها » وضعفه ابن الغرس (كشف الخفاء ١٢٣٩١

(٢) أي حَظَّه .

قد سألوا حكيمهم أرسطـــو
بأن معنى الاعتدال ما هـــو ؟
قال : هو الشيء الذى يَعتـــادهُ
يضر نقصُه كـذا ازديـــــادُه
والشيء إن جاوز رأس حـــدَّهِ
لا بُـدّ من رجوعه لضـــدِّهِ
وإنـما الخير هو اسم البيـــنِ
توسطٌ بيـن رذيلتيـــنِ
إن زاد أو قـصّـر فيهـا ذرّة
فتلك خَلّـــة بها مضـــرّة
قالوا: ومن سعـادة لجَـدّك
وقوفك الدائم عند حـــدَّك
قد يسعد المرء إذا المرء اعتـــدل
وربما يشقَى إذا هو احتفـــل[1]
من يحتفلْ بالجهل في غلـــوّة
قد يستغل بالرغم من علـــوة

(١) أي أكثر وبالغ ، من الحفَل وهو الكثرة

لا يفعل الجاهـل إلا غلـطـا
فمفرِطاً تـــراه أو مُفرّطـا
وكـل خُلـق فلــه مقــدارُ
يصلح فيه الحـالُ والأطـــوارُ
فالغضب الأوسـط باعتدالـــهِ
الملحُ في الطعام شِبْهُ حالِــــهِ
لا تذهبَّن في الأمـور فَرَطـــا
وخذ من الجميع حالاً وســـطا

* * *

(٧)
بحث
في القـلب

إنَّ ضياء الكونِ نـور الـحيِ
مَن قلبه الشريفُ بيت الوحـيِ
كـان سليماً وطـهـوراً قلبُـه
صـلى عليه بـالـدوام ربُّـه
وعنه ما معناه : الإنسـان
بأصغريه القلبُ واللسـانُ
إنَّ القلوبَ جَـلّ من هداهـا
أوعـيـةٌ وخـيرُهـا أوعـاها
ومُضغة للآدمى في الجسـدْ
إن فسدت فالجسم كله فسـدْ
إن صَلحت يصلح كل الجسـم
ألا وتلك (القلب) بيت الحِكَـمِ

ما وسع الله أراضٍ وسَمــــا

بل قلب مؤمن تزكى وسمـــا[١]

قالوا : وفي سر القلوب السالكة

لطيفة مـا نالها الملائكـــة

من راقبَ المولى سيدرى ما هـي

يعلم أن القلب بيتُ اللـــه

والآدمـــيُّ قلبـــه دواؤهُ

وإنـــما في النفس منـــه داؤهُ

وأحسن الأعـمال بالوجـــوب

إلقاؤك الـسرور في القلـــوب

إنَّ القلوبَ جُبلت في الأزمـــن

ببغض مؤسيها[٢] وحُبِّ مُحسـِـنِ

غيظُ القلوب - جاء - فاتقـــوه

لو كان في بهيمة دَعُــــوه[٣]

---

(١) إشارة إلى حديث : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه، وفي الأصل :

ما وسع الله تعالى مسكنا   في الكون إلا قلب من تمسكنا

ولا تليق كلمة (مسكنا) هنا وما أثبته أقرب للفظ، الخبر وهو يشير إلى الحديث : « ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن قال العراقي في تخريج الأحياء : لم ار له أصلاً . وقال ابن تيمية : هو مذكور في الإسرائيليات وليس له اسناد معروف (كشف الخفاء ١٩٥)

(٢) مؤسيها : من يسبب لها الأسى أي الحزن .

(٣) في الأصل « فارعوه » وهو يخل بالإعراب أو بالقافية

لو أنني أسقط من أعلى (أحُـــد)
أحَبُّ أن أُسقط من قلب أحَـــد
إنَّ الزجاجَ كسرهُ لا يشُعــــبُ
وإنَّ كسَر القلب منه أصعـــبُ
أقول : والقلوب أجمعونــــا[١]
نــور مِــنَ أنــوار الإلــه فينــــا
والنفسُ ظلمةٌ من الشيطـــان
مجبولة في طينة الإنســـانِ

* * *

(١) في الأصل « أجمعينا » .

(٨)
بحث
في الطريقة والسلوك

أول ما نبدأ في ذا البحثِ
بخلوة الرسول قبل البَعثِ
قد اختلى في الغارِ قبل الأسرة[١]
بغير زادٍ وبه في الأخرى
محافظاً مواظباً للخلوةِ
وتارة شهرا بغير سلوةِ
مستأنساً بربه وقُربهِ
مُستوحشاً من أهله وصحبهِ
وهو بأذكارِ الإلهِ منشغف
حتى أتاه الوحي وهو معتكف

* * *

في وصفهم صلاته ولا جَرَم
قالوا: وكادت قدماه أن تَرِم[٢]

(١) يقصد قبل الزواج ، أما بعده فقد كانت خديجة رضي الله عنه تهيئ الزاد له ﷺ لليالي المعدودة التي يتعبد فيها كما في صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، باب ٣ .
(٢) من الورم .

وغالباً يمضي الليالي قائمـــاً
كذلك الأيــام كــان صـــــائماً

* * *

جــاء: اعبد الله كــما[١] تـــراهُ
إن لم تـرَ الله يــــــراك اللهُ
شرطُ العباداتِ مع التمسكن
ومع حضور القلبِ والتمكـــنِ
قالوا: ومن قد واظب المجاهـدة
لابُـدَّ أن يظفر بالمشـــــاهدة
احتجبَ اللهُ عن البصائـــرِ
مثل احتجابه[٢] عن النواظـــرِ
والمـلأُ الأعـلى إليه يطلبـــونَ
كِمْثلِ ما إليه أنتم تطلبـــونَ[٣]
وإنـــه في كــل شيء حـــاكمُ
وهـــو على كل البـــرايا قائم[٤]

---

(١) في الأصل « كمن » ولا يخفي أن « كما » أقرب إلى عبارة الحديث المشهور «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » أخرجه مسلم (رياض الصالحين) .
(٢) في الأصل « كإحتجابه » بهمزة قطع مراعاة للوزن ، وما أثبته يراعى الوزن دون تغيير همزة الوصل إلى قطع .
(٣) كانت في الأصل يطلبوا، تطلبوا .
(٤) وفي الأصل :

أنه في كل شيء ساري   مع أنه عن كل شيء عاري

تـفـكَّـروا في الله في آلائـــهِ
في خلق أرضــهِ وفي سمائـهِ
ولا تفكروا إذاً في ذاتـــهِ
فتهلكوا بالعجزِ عن صفاتــهِ
وكلُّ ما في الوهم تأتي صورتُـه
خــلافُـه الله تعالت قُدرتُـــه

* * *

وسبُل الإقبال[1] نحو الخــالقِ
بعدد الأنـفـاس للخلائـــقِ
قالوا : ومن شاهد مَن ســوّاهُ
فـإنـه يـزهـدُ مـا سِــــواه
والعبدُ إن أقبـل نحو ربـــهِ
كل القلوب أقبلت لحبِّـــهِ

* * *

علامةُ الواصلُ ممن قد ســلك
بأن يُرى[2] أرحم من نفسـك بك

(١) في الأصل (الوصال) وهي عبارة غير لائقة والكلمة المستخدمة عند الصوفية : الوصول .
(٢) في الأصل « يكن» .وليس ما قبلها حرف جزم !

يُعرف في الناس بوجه طلـــق،
وبالسخاء ثم حُسن الخُلـــقِ

ما اتخـذ الله وليـــاً جاهـــلا
علّمه - إن يتخـــــذه - أولا

لن يصل العبد لقرب أُنســـه
وشهوةٌ باقية في نفســـــهِ

أول وصلِ العبدِ نحو الحـــقِّ
هجرانه لنفسه بالصـــــدقِ

قـال لعيسى اللهُ: إن تَردنـى
سِرْ خطوةً عنها[1] فقد تجدنـــى

وبعضهم جـاء بقول قاطـــع
عبارةً عن كثرة التواضـــع :

من كنست لحيتهُ المزابـــلا
كان الى هذا الطريق داخـــلا

❋ ❋ ❋

ما وصل الواصل للمقـــامِ
إلا بتعظيمٍ أو احتـــــرامِ

---

(١) أي عن النفس . كما يدل البيت السابق .

ما سقط الساقطُ من أعلى الرتب

إلا لتركه مراعـــاة الأدب

لن تصلوا إلا بشـــق الأنفس

أو نفَس من واصـــلٍ ذي نفَس

أو جذبةٍ من جَذَبـات القُدسِ

أو نفحةٍ من نفحـــات الأُنسِ

فجذبة من جذبات الحـــقِ

أفضل من أعـمال كل الخلـــق

* * *

وهـــذه من نـــادرات الحكـــم

ترجمتُها من قول بعض العجـــمِ :

«وقـــتُ صِباك لَعِب البطالـــة

وفي الشباب سكرة الجهالـــة

في الهَـرم الضعفُ بلا محالـــة

متى عبدت الله ذا الجلالـــة »

* * *

خلاصة الكلام في الطريقـــة

تقليدك الرسول بالحقيقـــةِ

(٩)
بحث
في النفس

إنَّ إمـام الأنـفس الزكيـــة
مَـن نفسه راضيــةٌ مرضيـــة
أخبرنا وهـو لنا عين الهـــدى
أنَّ نفوسنا لنا أعـدى العِــدا
جهادُك النفس جهادٌ أكـــبرُ
وإنـما الحـرب جهادٌ أصغـــرُ
وفي كلا الدارين فالخســـارة
جميعها من نفسك الأمّـــارة
كفاك نصحاً : (خاب من دسّاها)
وقوله : (أفلح من زكّاهـــا) (١)
وأفضلُ الأعـمالِ حين فِعـــلهِ
ما أُكرِهَت نفس الفـتى لأجـلهِ(٢)

---

(١) سورة الشمس / ١٠ و٩

(٢) يدل على هذا المعنى حديث «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» أخرجه مسلم والترمذي (الفتح الكبير ٢/ ٧٣)

النفسُ تنقــادُ الى رَداهــا
وتطلب الـلـذةَ في أذاهـــا

قيل : ومَن يملكُ أمرَ نفسـهِ
أطاعه ما دونـه من جنســه

للنفس ما كرِهته تكبُّــرا
تقودك النفسُ إليه آخِــرا

إذا اقتضتك النفس من داعيهـا
صنيعةً لأجل طبعٍ فيهــا

إيـاك أن تفعلَها سريعـــة
إلا بإذن العقل والشــريعة

* * *

والنفس قد تنقاد للصـــلاح
يمنعها الملذوذُ من مُبـــاح

فيحصل الصلحُ هناك قهـــرا
منها على ترك الحـرام طُـــرّا

إن لم تقد نفسَك بالترعيـبِ
تقاد بالتسويف والترغيـبِ

* * *

قالوا : وللنفس فكن مسوِفّا
وكن إلى العقل عليها مسعِفا
النفس زوجةٌ وهذا العقلُ
لها - يقول الحكماء - بعلُ
والجسم بيتٌ لهما، فإن غلب
تشتغل النفس بكل ما وَجَبْ
أو غلبت يفسد كل السعي
حتى ترى مشغولة بالغَيّ
كامرأة قهّارةٍ لبعلها
تهدم بيتها بقبح فعلها

* * *

لا بُدَّ للنفس من المجاهدة
تطغى إذا ما رأت المساعدة
لكنَّ للنفس عليك حقا
وهي مطيّةٌ تريد رفقا
لا تحملنَّ النفس فوق الطاقة
واحمل بحسب الحال واللياقة

* * *

وقلت في تمثيل أمر العقـــل
وإن أتى للنفس صعب الفعـل :
أولـه مُـرٌّ ، وحلوٌ آخِــــره ،
باطنه ربـحٌ ، وخُسرٌ ظاهـــره
لكنّ أمر النفس في هواهـــا
بالعكس لا يرضى به ســـواها

❊ ❊ ❊

(١٠)
بحث
في العلم الشريف

إنَّ الرسول العربي الأمي
مدينة الحكمة بحرُ العلم
هو الفصيح مُلهَم[1] البيانِ
شمسُ العلوم مشرق العرفانِ
عرفانه حوى العلوم جَما
وهو يقول: ﴿رَبِّ زدني علما﴾[2]
كان إلى كل العلوم بابا
مع أنه لا يقرأ الكتابا
لأنَّ علمه بلا تعلُّمِ
أبلغ إعجازاً لكل الأممِ
وحرفة الخط لأهل الدنيا
صناعةٌ جَلَّ الرسول عنها

---

(١) سورة طه/ الآية/ ١١٤

(٢) في الأصل (الملهم) فتكون كلمة (البيان) منصوبة وتختل القافية، لذا حذفت أل لنقلها للإضافة.

قال: «اطلبوا العلم ولو بالصينِ»[1]

فاعلم بأنه عماد الدينِ
ومن قبيل الحثِّ فيه يافتى
كذا «من المهد الى اللحد» أتى
الفخر بالعلمِ (نَعَمْ) والأدبِ
وليس بالأصل ولا بالحسبِ
وكل علم فاسعَ في مطلبه
العلمُ بالشيء ولا الجهل بهِ

* * *

واعلم بأن العلم في الصدور
ولا تظنّ العلم في السطورِ
وعنهمُ : مسألة في الراس
خير منَ ألف لك في الكرّاسِ
قالوا : خذوا العلم من الأفواه
واستودعوه الحفظ بانتباهِ

(١) قال الحافظ المزي عن هذا الحديث : له طرق ربما يصل بمجموعها إلى الحسن (المقاصد الحسنة ١٣٨) .

وكل علم ليس في القرطــاسِ

يضيع في العالَم كالأنفـــاسِ

وأول العلم أمـرٌّ من بصــــل

آخِـره يكون أحـلَى من عســـل

* * *

(١١)
بحث
في التقوى

إنَّ إمــام الُـركَّـعِ السجــودِ
وداعــيَ العباد للمعبــــودِ
أتقى الــورى كان لدى مــولاهُ
مـع قـربـه وحـبـه إيـــــاهُ
لاشــك تـقـواه لــذات ربــهِ
كانت على مقدار علمه بــــهِ

* * *

قالوا : وكــانَ دائـمَ الأحــزانِ
لا راحــةً إليـه فـــي أوانِ
قال : احفظ الله لدى الرخـاءِ
يحفظك الله لدى الضـــراء[١]
ومــن أطـاع الله جـلّ وارتفــع
أيضاً ومن عصاه ذلَّ واتّضــع

(١) يشير إلى حديث ابن عباس المعروف الذي فيه : «احفظ الله يحفظك» رواه الترمذي وفي رواية غير الترمذي زيادة : تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة (رياض الصالحين ٧٤) .

وقد أتى : لا ترجُ إلا ربَّــك

وفي الورى لا تخشَ إلا ذنبــك

والمــرءُ من ذنبٍ لقد جناه

فربما يُحرم من مُنــاهُ

* * *

واجتنب اليمينَ احتــذارا

غموسهاقد يُخْرِبُ الديــارا

لا تتهاونْ باليمين لاعبــا

لا تحلفنَّ صادقاً أو كاذبــا

يمينك الله العظيم البــاري

كذا أتى في مُسند الأخبــارِ(١)

وفي غدٍ أشقى الورى إفلاســا

من أسخطَ اللهَ وأرضى النَّاســا

* * *

واعلم بأن الشرع في التفــريض

كحميــة الطبيب للمريض

(١) لعلها إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ ﴾ سورة القلم / الآية ١٠

أحكامه جميعُها منافـــعُ
ونفعه إلى العبادِ راجــــعُ
لكننا لقلـــة الأفهـــامِ
لا نعرف الحكمة في الأحكـامِ
فما نهى عنه الرسولُ فانتهـــوا
أيضاً وما آتاكموه فخـــذوا(١)

* * *

من شاء أن يعلم ما مكانُـــهُ
عند إلهــه تـعـالى شانُـــــهُ
ينظـر في منـزلـة الإلـهِ
منه فمثلُها بـلا اشتبـــاهِ

* * *

وقـال أفلاطون فيما اخترعــه
أعـداد أقسام الوجود أربعــه:
١/ أولهم ذو الخبث والدنـــاءة
مقابلُ الإحسان بالإســـاءةِ

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾سورة الحشر الآية ٧ .

٢/ وذو عنادٍ[١] للذى قد اتضــح

في ذهـنـه بـأنـه هـو الأصــح

٣/ وجاعلٌ أعضاءَه أعلاهـــا

مستخدماً فيها إلى أدناهـــا

٤/ ومُبلغ الكلام بالتزويــــرِ

إلى حضور الملك الشريــرِ

❋ ❋ ❋

(١) في الأصل : « ومن يعانْدْ » بالتسكين دون ما يوجبه .

(١٢)
بحث
في القضاء والقدر

إنَّ النبي صاحب الآراءِ
مَن رأيه موافق القضاءِ
مُوضحَ سر الغيب فخرَ البشر
مَن قلبه مرآة لوح القدر
قد استعاذ الله من سوء القضا
وطالباً بعد القضا منه الرضا
وجاءه : يسأل بعض الخَدَمة
عن شوكة كانت أصابت قدمه :
أهل قضا الله أصاب منها
قال: نعم حتى السؤال عنها

❊ ❊ ❊

جاء إذا ما نزل القضاءُ
ضاق على ابن آدم الفضاءُ

هوِّنْ عليك ليس إلا ما أمــــرْ

و (كُلَّ شـــيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (١)

لا دافعاً لما الإلـه أنزلــــه

كـلٌ مسخّرٌ لما قـدّر لـــه

* * *

هل حذر ينفعنا من القَـــدَر

مِنْ بعد أن يأتي العمى الى البصر؟

ليس لرحل حطه من رافـــعِ

ليس لمن يرفعه من واضـــعِ

ليس لنا من القضا من مفـــر

قالوا: من القَضا نَفِرُّ للقَـــدَر

* * *

وشبهوا التقـــديرَ في الآزالِ

ثم ظهورَه لدى الأحـــوالِ

كأنه مـسـودة ومجملـــة

والكون كالمبيضة المفصَّلـــة

(١) سورة القمر / الآية ٤٩

قلت : كما الفهرست للكتـــابِ
يُظهر ما فيه من الأبـــوابِ
اللوح قد جفّ ورُفع القلـــم[1]
وخَطّ ما شاء تعالى بالحكـــم
ألا [2] ترى في ظاهر الأمـــورِ
تسبّب الأسباب للمقـــدورِ
فإنَّـــهُ مُسبِّب الأســـباب
حتى هي الأسباب في الكتـــابِ
«ونسبة الأفعال للإنســـان
شرك، كما قد قاله الشـــعراني،
وقولنا : إنـــا لقد قصَّرنـــا
تمـلّـــقٌ لـــه تعالـــى منّـا
قالوا : وحتى نَـدَمُ العصيـــانِ
من نسبة الأفعال للإنســـانِ
وخيـرنـــا وشرنـــا بحولـــه»
إلى هنا نظمته من قولـــه[3]

(١) في الأصل : قد رفع اللوح وجف القلم ! وهو خطأ واضح، ففي الحديث :« رفعت الأقلام وجفّت الصحف » رواه الترمذي قال حديث حسن (رياض الصالحين رقم ٦٣) .

(٢) في الأصل (وإن) وهي تقتضي حذف الألف من (ترى)

(٣) أي من قول الشعراني .

قلت : له الأمـر تعالى وحـــدهُ

سـبحانه أُمّ الكتاب عنــدهُ

يثبت ما يشاء، يمحو ما يشـــاءُ

يضل من يشاءُ، يهدي من يشـاءُ

وحالنا نحــن بلا تشكـــكِ

مثل خيال الظل والمحــــرّكِ(١)

* * *

(١) خيال الظل هو تحريك مجسّمات أمام الضوء بحيث يظهر خيالها.

(١٣)

بحث

في الرأي والتدبير

إن المنيُر صاحبُ الإضـــاءة

هو المشير صـــاحب الإراءة

سيد أهـل الـرأي والبصيـــرة

كـل عـسيرة لـه يســـيرة

قد كـان من سنته المشـــاورة

ليقدح الآراء بالمشـــاورة

بالوحي ان لم تأته إشـــارة

يعمل بالرأي والاستشـــارة

ويـوم بـدر في نـزول العسـكرِ

على المياه الرأيُ لابنِ المنـذرِ[١]

بَعْدُ أتـى جبريلُ بالخطـــابِ

مصدّقاً لـرأيـه الصـــوابِ

* * *

(١) يقصد الصحابي الحباب بن المنذر الذي أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بتغيير موضع نزول الجيش يوم بدر.

قالوا : ومن لم يحسب العواقبـا
فلا يكون للزمان صاحبـــا
مَــنْ عَــرفَ الأيــام باجتهـــادِ
ليس بغافلٍ عن اســـتعدادِ
يلزم أن نسعَى إلى التدبيـــرِ
والـرأيِ مِن قبل وقوعِ البيرِ[1]
لا عاقلٌ من كان في احتيـــالِ
للأمرِ من بعد وقـــوعِ الحـــالِ
نعم صفاتُ العاقل النبيـــهِ
يحتالُ من قبل الوقوع فيـــه

* * *

الــرأي مــرآة الأمــور اللازمـــة
في أول الأمــر يريك الخاتمـــة
في الرأي والعقل لقد قـال الأُوَل:
أوائـلُ الـرأي أواخـرُ العمـــل
من أيقظ النفسَ ذكــت آراؤهُ
ييأس من كيدٍ له أعـــداؤهُ

(١) يقصد : الوقوع في البئر .

واثبُتْ على الرأي بأمر جَلْـــدِ
فالأمر قد يفسد بالتـــردّدِ
واسـعَ إلى تنفيذه في ساعتـــه
أو نـدمٌ يأتيك في نهايتـــــه
لا تلفـظِ اللفـظَ بلا تفكّـــرِ
لا تفعل الفعلَ بلا تدبّـــــرِ

* * *

إن جاءك المكــروهُ فانظرْ أولا
هل فيه حيلة إلى دفع البَـــلا؟
إن كـان فيه حيلة لا تَعْجــزِ
أو لم يكُن فالصبرَ فيه أنـــجِزِ[1]
والنفس إن تَقْوَ ـ يقول الحُكَما ـ
للرأي والتدبير مالت دائمـــا
أو ضعفتْ مالتْ الى الإحالـة
للحظّ والتقدير والإقالـــة
وكـل ذي جهل فمن غفلتــهِ
تــراه مضياعاً إلى فرصتـــــهِ

(١) في الحديث «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز» أخرجه مسلم ٨/٥٦

حتى إذا ما فاته الأمـر ومـــر

يعاتب الأفـلاك فيه والقَـــدر

ويقذف التقديَر بالبُهتـــانِ

ومن قصور الرأي ما يعـــاني[1]

* * *

(١) في نهاية الحديث المذكور في الهامش (١) « وإن أصابك شيء فلا تقل : «لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء الله .. ».

(١٤)

بحث

في الحزم والاحتراس

إنَّ الأمـين ذا الجنود الفاتكـة
وهو الذي حُرّاسُه الملائكـــة
قد كـان من سنته العليـــاءِ
ان يأخذ الحِذْرَ من الاعتـــداءِ
محترسا كـان مـن العوالـــمِ
بالحزم ثُمّ الاحتياط الدائـــمِ
كوضعه الحـراسَ في الأبـوابِ
وحفره الخندقَ في الأحـــزابِ
قالوا : ومــازال رســولُ الحـقِّ
في الاحتراس من جميع الخلـــقِ
حتى اطمأنّ في نـزول الآيــةِ
بأنه المحــروسُ بالعنايــــةِ
تكفّل الإلـــهُ باحتراســـه
بأنّه يعصمه من ناسِـــــه[١]

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾سورة المائدة الآية ٦٧ فإنه لما نزلت أمر حرسه بالانصراف .

وقـــد أتـى عنه بـأن المؤمنا
يكون كيّساً لبيباً فطنـــا[1]

«لا يُلـــدغ المؤمن مرتيـنِ»
فيه إشـارةٌ لذي عَينَيـــنِ[2]

وكـان يتقى مواضـعَ التُهَـم
وجاءنا التحذيرُ عنها في الحكـم

* * *

يلــزم للحــازم أن يُرائـي
زمانه كسـابحٍ في المــاءِ

فإن سها عن نفسـه في حركـة
جرى به الماء لقعـر التهلكـــة

وقد أخذت من كتاب «الصادح»
في الحزم بيتا زبدة النصائــحِ :

«الشهم من أصلح أمرَ نفسـه
ولو بقتل وُلده وعرسِـــه»

(١) في الأصل « مرتان . . . عينان » !

(٢) يشير إلى حديث « لا يلدغ المؤمن من حجر واحد مرتين أخرجه البخاري ومسلم (رياض الصالحين ٦٢٢)
فإنه لما نزلت أمر حرسه بالانصراف .

قلت : ولو كان بقلعِ ضرسِــه

وجَـدعِ أنفه وقلعِ غَرســـــه

وقال أفلاطــون رأس الكمّل :

لا تركَنَنَّ للرجَـا والأمـــلِ

همـا يسـوقانك بالسهولـــةِ

في الأمر للشـــدائد المهولـة

* * *

من تمَّ عقلــه فليس يسـكتُ

عما يضر نفســـه وُيكبَتُ

الخوف للعاقل دستوُر العمــل

«من لا يخاف لا يخيف» في المثـــل

وغـافـلٌ عن نفسه وســـاهي

لا بُدّ أن توقظه الدواهـــــي

وغافلٌ عن العدو قاعـــدُ

لابــد أن تقيمه المكايـــدُ

والغفلةُ العدوُّ بل أشَــــدُّ

والفطنةُ الصديقُ بل أسَــــدُّ

واخشَ الذي وَترته[١] إذا جـــنَى
قيل : ولو كنت إليه مُحسِـــــنا

* * *

ما لمتُ نفسي دائـماً على خطـا
قد افتتحته بحـزمٍ وذكـــا
ولا مدحتُها على صـــوابِ
تصادفاً جـاء بلا حســـابِ
فكلَّ ليلٍ فاتخذ مَراقبَـــه
في أمرِ دنياك وأمـرِ العاقبـــة
أعدَّ[٢] للأمر الذي تَقصِـــدهُ
آراءَ حـزمٍ كي بها ترصـــده
واجعل من الرأي بروجاً باهـرة
واقعد على الدوام في المحاصـرةُ

* * *

(١) أي ألحقت به مصيبة أو عقوبة . ومنه الموتور : المصاب .
(٢) في الأصل « وعدّ » .

(١٥)
بحث
في الجهل والحمقِ

إن رزيـنَ العقل ذا الجلالـة
مَـن صانه الله عن الجهالـةِ
من شهدت أعـداؤه بفضلـهِ
حتى أبو جهل كذا مع جهلـهِ
قد كان عن كل جهولٍ معرضا
وكان للجهل الذميم مُبغضـا

* * *

وقالوا في الأحمِق ما معنـاهُ :

أبغضُ مخلوقٍ الى مـولاهِ
حَرَمه(١) الأعزَّ في الأشيـاء
إشـارة للعقل والذكـاء
الحُمْـقُ داءٌ مـا لـه دواءُ
دواؤه الـرحلـةُ والفنـاءُ

(١) في الأصل « أحرمه » .

إنَّ الـذي يجهل قَـدْرَ ذاتــهِ
يهـتـك سـتـــرَه إلى مماتـــهِ
مـن كـل شيءٍ يُحفظ البليـدُ
وحفظه مـن نفسه بعيــدُ
وهــو عــدوٌّ نفسه في سَــيره
كيف يكون ذا صديقَ غـيره؟!
وكــل مـن لنفسه قـد ظَلمــا
فهو لغـيره أشَـــدُّ ألَمــا

* * *

إنْ أكـرمَ الجاهلُ يوماً أحـدا
يفسده بالجهل لا بـد غـــدا
ويُحمد العاقلُ من غير عطـا
وإن يكن أعطى فقد زاد الثنـا
ذو الجهل إن آنســتَه تكبَّرا
أيضاً وإن أوحشتَه تكـــدرا
وعنهم : الجاهل مثل الخُنفُسـا
وكـلـما حـركـتَـه فقد فســا

عمدةُ ذي الجهل على آمالِـهِ
وعمدةُ العاقل في أفعالـــهِ

* * *

ودولـــة الجـاهـل في المثـــال
سحابةٌ ســريعةُ الـــزوالِ
قالوا : وكـم من أبلهٍ جهـول
ســاعده الطالعُ بالقَبـــولِ
فـنـال في فرصته إقبـــالا
وعـــزةً ورتبـــةً ومـــالا
فعن قـريـبٍ لقبيحِ فعلِـه
وعُجبِه وطيشِه وجهلِـــهِ
يزيله الحُمْقُ المُضِلُّ[1] عنهـــا
يزيله الجهل المـضر منهـــا
يـرجـعـه غَـمـاً الى رتبتـــهِ
يــرده قـهـراً إلى قِيمتـــهِ
مِن بعدِ ما تظاهرتْ ذنوبُــهُ
وفي الـورى تكاثرتْ عيوبُـــهُ

(١) في الأصل « المعز » .

تـــرى وليَّــه لــه معاديا،

مادحُه أضحى إليه هاجيـــا

لا تَـدَعُ الأيـام ذا جهالـــة

إلا وأدّبتـــه لا مَحالـــة

* * *

علائم الجاهل جــاء في الخبر

بأنها عِدّتها ثماني عشـــــر(١)

١ - ٣ تهاونٌ، مع خفة، والعجــلة،

٤-٦ والسهو، والتفريط، ثم الغفلـة

٧و٨ إضاعة، تردد في الأمـــر ،

٩ وطاعةٌ للنفس طولَ العمـــر ،

١٠ - في كل شيء غضب وسخطُ ،

١١ - تكلم من غير نفع قـــطُّ ،

١٢ - إفشـــاؤه السر الى الأجناس ،

١٣ - مع ثقةٍ فيه لكل النـــاسِ ،

١٤ - يكون ان أعطيته كفـــورا،

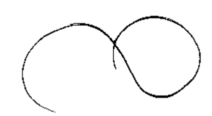
١٥ -إن(٢) هو أعطاك يكنْ فخـــورا،

(١) في الأصل : مجموعها ثماني بعد عشر .

(٢) في الأصل « إن » .

١٦ - يرجع عن دعواه في المفاوضة
بـأيسر الجـواب مـن معارضة
١٧ - للعجز فيه عن بيان مقصـده
وربـما الحـقُّ يـكـون في يـده
١٨ - وهو تراه كلما استغنى بطر
أو يفتقر تـراه مأيوسا ضجـر
فـهـذه عـلائـم للجاهـلِ
فاحكم بعكسها إذاً للعاقـلِ

* * *



(١٦)
بحث
في الظن

إنَّ الـــذي بربـه ركونُـــه

ومَن به قد حســنت ظنونُــــه

كان سليم الصدر صـافي المَتْنِ

سنته في الناس حُسنُ الظـــــنِ

وفي الحديث: «الحزم سوء الظن»(١)

فاعملْ بقوله لكل فَــــنّ

وقد أتى : كونوا على احتراس

بسوء ظنٍ من جميـــع الناسِ(٢)

* * *

وقــال افلاطون في ذا الفَــنّ:

عليك ياهذا بســوء الظـــنِ

فـإن تكن أصبت فالسلامــة

أو لم تصب فالحزم لاالملامــــة

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب عن علي رضي الله عليه مرفوعاً (الفتح الكبير ١ / ٨٠)

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط وابن عدي عن أنس مرفوعاً (الفتح الكبير ١ / ٥٠) .

فإنّ سوء الظن من بعض الفِطَن
وإن حســـن الظن موجب الفتن
وأكـثَــــرُ العِثـار والآلام
من حُسْــنِ ظن المرءِ بالأيــامِ
فاعمل بسـوء الظن لا تبالِ
بالدهر والأيــامِ والليـــالي
والحــظّ والنعمةِ والخليقــةِ
تعشْ بدنياك على وثيقـــةِ

* * *

لا تُحسن الظن ســوى بالله
إن كنت في حزمك في انتبــاهِ
لله حسن الظن لا سِـــواهُ
فعند ظنِّ عبدهِ يلقـــاهُ(١)
أيضاً، وكن مِن مكره على حذَر
بين الرجـا والخوف، هكذا أمَر(٢)

* * *

(١) يشير إلى الحديث القدسي « أنا عند ظن عبدي بي » أخرجه البخاري ومسلم (رياض الصالحين ٢١٦).
(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿ إنه لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إلا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ ﴾ سورة يوسف الآية / ٨٧ .

(١٧)
بحث
في إتقان الأمور

إنّ التهاميّ حكيمَ الوضــــع
رســولَ مَن أتقنَ كلَّ صُنــعِ
هــدايــةَ الدنيا وخــيرَ أهلهــا
منَ وضع الأشــــياء في محلّها
نبيَّنا مع علمِه المشـــــهورِ
ورِفـقـه المبـارَكِ المشـــــكورِ
مِنْ وصفِه كان شــديدَ البطش
لأنـه ســـيفُ إلـهِ العــرشِ
قد كان بطّاشا بمن قد اعتـدى
وكان هشّاشـــاً لمن قد اقتدى
يهَــشُّ للناس محلَّ الهــــشّ
يبطش إن كان مــحــلّ البطش

* * *

وعـرّف الاتقانَ أهلُ الدقّـــة:

أنك تعطي كلَّ أمـرٍ حقَّـــــه

وأن تكون في الأمـور[1] صائبـا

بحيث لا تلقى عليه[2] عائبـــا

* * *

فأتقن الأعــمال حَسْبَ الغايةِ

فقد أتى عن صاحب الهدايـــةِ

قال : إذا ما عمل العبدُ العملْ

أحبّ أن يتقنه عزّ وجــــلّ[3]

* * *

قالوا : ولا تــأتِ لكل واردة

وكلِ شخصٍ بصفاتٍ واحـــدة

بـل اتّخــذ لكل شــيءٍ حالا

كل مقامٍ أعـطِـهِ مَقـــالا

بمثل مـا يليق في القضيــةِ

فإنه أنظم للحاليّـــــة[4]

---

(١) في الأصل « وأن تكن في كل امر ».

(٢) في الأصل « بحيث آن لا تلقى فيه ».

(٣) اشارة إلى حديث « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (الفتح الكبير ١ / ٣٥٤) .

(٤) أي للفترة الحالية .

مِـن علمٍ أو عقـابٍ أو إكـرامِ
ولطفٍ أو عنفٍ أو انتقـــامِ
فالناس في طباعها مختلفـة:
ممزوجة ، وحشية ، مؤتلفـــة
فمنهم يصلح بالملاطفـــة،
ومنهم يصلح بالمعانفـــة،
وبعضهم يصلح بالجفـاءِ،
وبعضهم يصلح بالوفـــاءِ،
ويُصلِح البعضَ التجافي عنـهُ
وبعضهم بالانتقام منـتـهُ
مُفسِـدُ هـذا مصلِحٌ لغيره
وذا مخـالِف لـذا في سيتـره

* * *

وكن بحَسْبِ الوقت حلواً مرا
فتارةً خيرا وطـوراً شـــرّا
كقولهم أَعلِك أخـاك التمـرة
تكرماً فـإن أَبـى فالجمـــرة

ولاتكن رطباً وإلا تُعصَـــرُ
أو يابساً صلباً وإلا تُكســـرُ[١]

* * *

والناس فاختزهم إلى الصنيـعةِ
كما اختـــيار الأرض للزريعةِ
أصلُ العداوات تقول الحُكمــا
فعل الجميـــل لِلّئيم ذي العمَى[٢]
يا رُبَّ إحسان يعود ذنبـــا
ورُبّ مـــدحٍ قد يصيرُ سَـبّا
لا تجعل المسيء مثل المحســنِ
ليس الرخيص كالعزيـــزِ الثَمَنِ
وكــلُّ صنعة بغير هـــاد[٣]
لابـد أن تئـول للفســـادِ

* * *

(١) في الأصل « مرطباً فتعصر – وإن تكن ميبسا فتكسر
(٢) في الأصل « للثام والدنا » .
(٣) في الأصل بلا أستاد ! .

قال أرسطا ليس للاسكنــدرِ :

لا تنخدع الى هواك واحـــذرِ

فـإنـه يسترسل الإنســان

وهــو يظــن أنــه يقـظــان

واجمــع إلى نفسك في الرئاسـةِ

الحالةَ الوسطى من السياســةِ

ما بين لُبْثٍ ليس فيه غفلــةُ

ثم بِـدارٍ ليس فيه صــــولةُ

وكــن إذاً للحق عبداً قائمــا

فإن عبدَ الحق حُــرٌّ دائمــــا

ولْيَكُ أيضاً فعلك الإحســانا

الى الــورى في أي شـــيء كانا

ثم من الإحســان عند أهلـهِ

وضع مسيء الناس في محلــهِ

وكن نصيحَ النفس خلِّ عنكَ

لا لك أرأفَ إليك منـــكَ

* * *

قـد سـأل المـأمـونُ في رؤيـاهُ

الى أرسطا ليس ما معنـــاهُ :

ما أحسنُ الأشياءِ في مذاهبه ؟

فقال : ما لا خوف في عواقبـه

قـال له : فما ؟ فقال : الفعل

ما استصوباهُ : الرأيُ ثم العقـلُ

قـال : فما ؟ قـال : أجبت علنا

ما قـد رآه الخلق طُـرّاً حسـنا

قـال : فـما ؟ فأظهر الشعاثـة

لـه ومـا زاد عـلى الثلاثـة

* * *

(١٨)
بحث
في الخير

إنَّ البشـــيَر طاهرَ الصفات

ذو البر والمعـــروف والخيراتِ

قد كان خيرُ النـاس ذو الفلاحِ

أسرعَ في الخير من الريـــاحِ(١)

وقال : «بَشِّـــروا ولا تُنفّروا»

وقال : «يسروا ولاُتعسّـــروا»(٢)

ومن يســوق الناس في دلائله

يوماً على الخير يكن كفاعلـــه(٣)

قالوا : اجعلِ الخير إليك عـاده

والـــشر في الحاجة لا زيـــادة

* * *

(١) إشارة لحديث « كان رسول الله ﷺ أجود الناس .. أجود بالخير من الريح المرسله « أخرجه البخاري وَمسلم (رياض الصالحين ٤٤٠).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم هكذا :« يسّروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» (رياض الصالحين ٢٨٠) .

(٣) أشارة لحديث :« من دل على خير فله مثل أجر فاعله » أخرجه مسلم (رياض الصالحين رقم١٧٨) .

وقال افلاطون في الإنسانِ :

يلزمه في سائر الأديانِ
يُقوِّم الباطنَ بالديانةِ
على ابتغاء الخير والأمانةِ
فيما أقامه به إلهُهُ
وما احتوى مقامُه وجاهُهُ

وقال : فعلُ الخير لا تُشهرْهُ
وبعد فعله فلا تَذكرْهُ
له عيونٌ في سماءِ العرش
اشرفُ من أعينِ هذا الفرشِ
تُبصره ثم تجازى عنهُ
فإن ذكرتَه حُرمت منهُ

* * *

(١٩)
بحث
في الشر

إنَّ نبيَّ الـرحمـة الطهـــور
قامعَ أهل البغى والشـــرورْ
يكرهُ، كـان، الـشرَّ والأشـرارا
حتى استعاذ منهما مـــرارا
قال : إنَّ شر الخلق مَن لغشـه
قد اتّقته الناسُ خوفَ فُحشـه[١]
شرُّ الرجال من إذا أتى مُـدح
لكن تـراه كلما غـاب قُـدح

* * *

لا تصحب الشريرَ وابعدْ عنـهُ
يَمنُنْ عليك بالنجاة منـــهُ
والـشرَّ لا تطفئ بـّشر مبـرمِ
وهل دمٌ يُغسل أيضا بـدمِ؟!

(١) إشارة إلى حديث ان شر الناس من اتقاه الناس لفحشه.

قالوا : ادفع الشرّ عن[١] الورود

بعودٍ ان قـدرت أو عمــودِ؟

لا يُمهَل الشـُّر ولا يُسـتحقر

من يمهل الشر اعتراه الضرر[٢]

* * *

(١) في الأصل « على ».

(٢) في الأصل آخر الشطر الأول « تستحقره » وآخر الشطر الثاني « الضرورة ».

(٢٠)

بحث

في كرم الطباع

إنَّ كريَم النفس والخصـــالِ
سيدنا ذا المجد والكمـــــالِ
من كَـرُمـتْ طباعـهُ وذاتُــهُ
وهو الذي قد عظمت صفاتُــهُ
قد كـان أكـرَمَ الأنـــامِ نفســـا
وذاتُــه للمكرمات أُسّـــا
لا مَــنّ في عطائــه ولا عوض
ولا هوىً في حكمـــه ولا غَرَضْ
واتخـــذَ الـكـرام عنه سنـــدا
إنَّ الكريمَ لايُضـام أبَـتــدَا

❋ ❋ ❋

قد وصفتْ ساداتنا[1] الصوفيـة
لنا معاني كـرمِ السَّـــجيَّــة :

---

(١) في الأصل « وصفوا ساداتنا ».

من كان من أمواله تبرَّعـــا[١]،

عـن مـال غـيره لـه تَورُّعـــا

قد قالت الكرام : آنِسْ رفـدَكَ

واصـحَ فلا تنسَ بيومٍ وعـدَك

وأكـرم النفسَ على الفضـائلِ

فأنت مـدفوعٌ إلى الرذائـلِ

مَـن نفسُه قد كَـرُمـتْ عليـهِ

فالمال قد يصغر في عينيـهِ

* * *

إنَّ كريَم النفس لا يسـتقصي

إن كنت ذا كرامـةٍ لا تُحص

كـل كـريـم لـلأذَى حَمـولُ

كل لئيم في الـورَى محمـولُ

إن أنتَ أكرمتَ الكريم صنتَـهُ

أو أنت أكرمتَ اللئيم خُنتَـه

إنَّ الكريَم ذا الجناب والهمـم

يظلم أعلى منه[٢] فيها إن ظلم

(١) في الأصل « يكن بماله له تبرعاً » .

(٢) في الأصل « يظلم أعلاه إذا ما قد ظلم» .

لكنَّما اللئيم - قـال الحُـكَـما -

يظلم مـن أسفل منه دائمـــا

* * *

شرُّ الكريم منعُه عنك العطـا

خيرُ اللئيم منعُه عنـك الأذى

* * *

(٢١)
بحث
في لؤم الطباع

إنَّ النبيَّ طاهرَ الطباعِ
مُهذبَ الأخلاق والأوضاعِ
ومَن إليه أحسنُ الطبع انتهى[١]
حذّرَ عن لُؤم الطباع ونهى
هو كريمُ نسبٍ وذاتِ
أسنى الورى أذكاهم صفاتِ[٢]
مِن نعته : أكرمهم أرومة
مِن وصفه : أشرفهم جرثومة[٣]

* * *

وسائلُ النفعِ من اللئام
كزارعِ السِمسم في الحمّام
إنَّ سلاح فئة اللئام
(قالوا) هو القبيح مِن كلام

---

(١) في الأصل : ومن به حسن الطباع انتهى بهمزة قطع لكلمة (انتهى) .
(٢) في الأصل :« هو الكريم نسبا وذاتا اسنى الورى أذكاهم صفاتا »(!)
(٣) الجرثومة هنا : الأصل .

إن كنتَ أنـتَ عارفـاً معابكَ

فلا تلومنَّ إذاً من عــابكَ

قالوا : ومَن كان عليـكَ عاتبا

فـإنـه كـان إلـيـك عائبـــا

إكرامكُ المـرءَ اللئيـمَ الخِلطِ

تربيةُ الثعبان تحـــت الإبْـطِ

لا بُــدَّ يؤذيك غـداً بحالـــهِ

كمن يُــربّي الـشـوكَ في أذيالـهِ

* * *

إنَّ الشقيَّ بين سُخْط الـخالقِ

وبـين شـامتٍ مـن الخـلائـقِ

دنيـاك أردى خَلقِها لئامُهـا

كالنار في إضرامـهـا إكرامُهـا

* * *

وقـال افـلاطـون في البيـانِ :

واعَجَباً من غفلة الإنســانِ

قـد يـترك اللذيذ مـن طعــام

لصحةِ الجسم من الأسـقامِ

لايـترك القبيحَ مـن فِعـــالِ
حتى تصحّ النفسُ من ضـلالِ

❋ ❋ ❋

أقـول : حَفْرُ البئر بالجفـونِ
ومـلـؤه بـأدمـعِ العيـــونِ
والقلعُ للصخور بالأضـراس
وحملها للجـو فـوقَ الـرأس
أهــونُ للحُرّ مــن القيــام
بحّبة مــن مِنــة اللئـــام

❋ ❋ ❋

(٢٢)
بحث
في حسن الأخلاق

إنَّ كريم النفس والأخـلاقِ
مَن مَدْحه جاء من الخـلاّقِ[١]
قد كـان أوسـعَ الأنـام صـدرا
أكـرمـهـم مـروءةً وقـدرا
ياحبذا محـاسـن الأخـلاقِ
قـد كملت في سيد الآفـاقِ
كـان عـلى آدابـه حفيظـا
ما كـان فظاً ، لا ولا غليظـاً
مؤلِّفاً قـد كـان لا مُنفِّـرا
ألينهم عريكةً ومَحْضـرا
يَقبل (كان) عـذرَ كل معتذر
وعفوه قد كـان عفوَ المقتـدر

(١) في الأصل « ومن أتى في خلق الخلاق » !

وكـــان محـــــزونـــاً بغير عبسٍ

وباسماً من غير ضحكٍ يُقسي[1]

ولم يواجهْ أحـــداً بـــأي مـــا[2]

يـكـــره أو يخجلـــه تكرمـــا

بل إن أراد النهي للهدايـــةِ

يشير للمقصود بالكنايـــةِ

ما بـــالُ قـــوم يفعلون هكـــذا

ياحبذا أخـــلاقـــه ياحبـــذا

* * *

وقال : حُسْن الخلق في الإنسان

أول ما يوضع في الميـــزان[3]

لن تَسَعوا العالمَ بالإنفـــاقِ

عليكمُ بأحسنِ الأخـــلاقِ[4]

في وصف حُسن الخلق قالوا : حبذا

بذلُ الندى للناس مع كف الأذى

(١) أي يقسي القلب، ومن الحكم : كثرة الضحك تقسي القلب .

(٢) في الأصل « ولم يشابه أحداً بكل ما » .

(٣) في الأصل « نيشانه » .

(٤) يشير إلى الحديث « لا تسَعون الناس بأموالكم ولكن ليسعْهم منكم بسطُ الوجه وحسن الخلق » أخرجه البزار وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب والحاكم (الفتح الكبير ١ /٤٣٣) .

للمرء حسن الخلق خير صاحبِ
يســـتر غـيره مـن المعايبِ
من لانَ خُلقه صَفَتْ معيشــته
وفي القلوب أُسّســت محبتُه
من حَسُــنت أخلاقه أراحـا
أعنى : أراح الناس واســتراحا

❋ ❋ ❋

قالوا : دليل العقل في الآفــاقِ
ميـل الفتى لأحسن الأخـلاقِ
تـراه للفعل الجميل راغبـــا
أيضاً عن الفعل الذميم راهبـا

❋ ❋ ❋

(٢٣)
بحث
في سوء الأخلاق

إنَّ الخلوقَ سيدَ الآفاقِ
ومن نهى عن سيئ الأخلاقِ
نبيَّنا بالخُلقِ العظيمِ
لقد أتى والمنطقِ الكريمِ
يُعجز وصفهُ اللبيبَ الألسَنا[١]
سبحان من أدّبه فأحسنا
ماكان لعاناً ولا فحاشا
حاشا مقامُه الشريف حاشا
قد استعاذ الله ربَّ الفلقِ
مِن ظلمة الجهل وسوءِ الخُلُقِ
وعنه : لايجتمعنْ في مسلمِ
البخلُ ثم سوءُ خُلْقٍ مظلمِ[٢]

---

(١) الألسن (بفتح السين) فعل تفضيل من اللسَن وهو الفصاحة .

(٢) أخرجه البخاري في الآدب المفرد، والترمذي عن أبي سعيد مرفوعا ونصّه « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق » (الفتح الكبير ٢/٨٧).

وإنَّ سوء الخلق في الأشـــرار
يقودهم للنار ثم العـــار

* * *

قيل : ومن قد ساء منكم خُلُقُه
ضُيّق في الأرض عليـه رزقُهُ
من ساء خلقه تـدوم بُغضتـه
أيضاً تـكـدّرْت عليه عيشـته
وسوءُ خُلْقِ المرء شـر نائلِ(١)
يُقبـح الغير من الفضائـلِ
وسـوء سيرة الفتى تؤسـيهِ(٢)
وتخلع السلطان عن كرسـيه
دع كل خُلْقٍ مَن حـواه يُحتقـرْ
دَعْ كلَّ ذنب منه يوما يُعتـذَر

* * *

وسيئُ الخلق رديءُ الفكـــر
وسيئُ الظن خبيثُ المكـــرِ

(١) في الأصل « بئس نائلا ».
(٢) أي تسبب له الأسى .

وفاسدُ الأوهام والوسواس
مبغَّضٌ وباغضٌ للناسِ
تراه لا يشكر فضلَ الحقِّ
أيضاً ولا يحمد صُنعَ الخلق
مضطرباً ليس إليه راحة
صورته باكية نواحة
مضطجراً وعابساً مضطرًّا
ودائماً تراهُ مقشعرًّا
تظنه من مقته في نقمةِ
مع أنه مِنْ ربه في نعمةِ
مقلَّب ليس له وفاءُ
ولا له ودٌّ ولا إخاء
فظّ غليظ مستحيلُ الأدبِ
وضيِّقُ الصدر سريعُ الغضبِ
ومشمئز النفس من كآبة
مِنْ ظلّه يغضب والذبابةِ
تخاله كساخطٍ مِنْ ربِّه
ونفسِه وأهلِه وصحبهِ

(٢٤)

بحث

في البشاشة

إنَّ منيَرَ الخدّ ذا التبسم
كان بسيمَ الوجه للترحّمِ
صلى عليه الله في كل نفَس
ما ابتسم الصبح وما الليل عَيَس
كان (نَعَمْ) وجهُ شفيع الحشرِ
على بشاشةٍ وحُسْنِ بِشرِ
وجاء عن بعض الثقات الكُرَما
أكثر ماكان يُرى مبتسما
وكان أقصى ضحكهِ تبسما[1]
يبسمُ حلماً كلما تكلما
ولَيِّنَ الجانب سهلَ الخُلُقِ
ودائماً يبدو بوجه طَلْقِ

(١) في الحديث « كان لا يضحك إلا تبسماً » أخرجه أحمد والترمذي والحاكم (الفتح الكبير ٢ / ٣٧٢) .

كـان (نعم) أقلَّهم تكلمـا
لكنه أكثرهم تبسما

* * *

الوجه منك إن يكن بشَّارا
والقول أيضاً لينا مختارا
تكن إلى الناس أحبَّ دائما
من الذي يعطيهُم الدراهما
ولاتكن ذا غلظةٍ وحِنقِ
يُحبّ ربي كلَّ سهلٍ طلقِ
يُحب وجه الطَلِق البسَّامِ
كذا أتى عن سيد الأنامِ[١]
البِشرُ قد يعقد قلبَ الناس
على محبةٍ مع استئناسِ

* * *

(١) يشير إلى حديث « الله يحب السهل الطلق » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (الفتح الكبير ١/٣٥٤).

(٢٥)
بحث
في المداراة

إِنَّ النبي سـاترَ العيوب
سيدَنا مـؤلِّفَ القلـوبِ
كـان يـداري الناس باصطبـارِ
يقول : قد أُمـرت أن أداري
كما يـداري العُصبة المؤلَّفـة
ثـم المنافقين بالملاطفـة
وبـالمـداراة أُمـرنـا[١] يافتـى
وعنه : «داروا سفهاءكم»[٢] أتى
وبعد إيـمانٍ أتـى في النقـل
تـوددٌ للناس رأسُ العـقـلِ

* * *

(١) في الأصل « انا امرنا بالمدارا » وهو يشير إلى حديث « داروا الناس بعقولكم » أخرجه الغسولى في جزء (كشف الخفاء ١٩٥) .

(٢) في كشف الخفاء ص ٤٠٠ : ما اشبهه بالموضوع !

عن المداراةِ جرى[1] في الألسن

قيل «إذا عزّ أخوك فهُنِ»

فعاشر الناس بخلق القُرَشي[2]

ودار من طاشَ ومن لم يَطِش

[وقيل قولٌ شأنه المجازُ

لأنه في الشرع لايجازُ :]

لا بد للمرء من السجودِ

في زمن السوء الى القرود[3] !

* * *

(١) في الأصل « حد للمدارا مثل ».

(٢) يقصد النبي ﷺ .

(٣) يشير إلى خبر موضوع ! وهو يسجد للقرد في دولته (كشف الخفاء ٣٨٦).وقد أضفت البيت السابق له للتنبيه على ان المراد المبالغة في المداراة .

(٢٦)
بحث
في الحلم

إنَّ النبيَّ الكاملَ الحليمـــا
الهاشميَّ المشـفقَ الرحيمــا
كــان حليماً مؤنِســاً رفيقا
وهـيّنـــاً وليّنِــاً خَلوقــا
وكـــان يختــار مــن الأمـــور
أيسرها لرفقه المشـــكورِ[١]
مِــنْ حِلمــهِ صلى عليه اللهُ
يقول : "لبيــك" لمـن دعــاهُ

* * *

الحِلـمُ مصباحُ إلى الفـــلاحِ
والرفق مفتاح الى النجـــاحِ
الحلم فوق العقل قدراً في الشرفْ[٢]
لأن ربنــا بــه قـد اتصـــفْ

---

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما (رياض الصالحين ٢٨٠) .

(٢) في الأصل « قدراً وشرف » .

وحِـدّة المـرء يقيناً تُهلكـهْ
ورفـقُـه وحلمه يُملّكـهْ

الحـلـم لـلآفـاتِ كالحجـاب
وللغنى من أعظم الأسـبابِ

* * *

كن ليّن الطبع بغير ضـعفِ
وكـن شـديده بغير عنفِ

قالوا بأن الحلم في وقت الغضب
كغضب في موضع الحلـمِ عطب[1]

مَن صِفةُ الحلم لديه شُـهرتْ[2]
فجرأةُ الخلق عليـه كَثُرتْ

والحلم : اطمئنـان نفس الأرِب
عند محركات نـارِ الغضب

* * *

(١) كأنه يشير إلى قول المتنبي :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى

(٢) في الأصل « الحلم من أخلاقه قد شهرت » .

(٢٧)
بحث
في الغضب

إنَّ الحليم ذا الثبات والأدب
مَن وصفه : لايستفزه الغضب
قد كان لايغضب خيرُ الخلق
إلا لهتك حرمات الحقِّ
لِعلمه الحكمةَ في جَرْي القضا(١)
في كل شيء كان شأنُه الرِضا
يغضبُ لله ، إذا ما قد غضب
لفعل منهّيٍ وتركِ ما يَجب
يُعرف من وجنته المنوّرة
لأنه كان رقيق البشرة
وجاءه فتى من الفتيان
قال له : إني لذو نسيانِ

(١) في الأصل « لعلمه الغيب وأسرار القضا » .

فعظني بالإيجاز خوفاً للغلــط

قال له : بُنَيَّ "لاتغضــبْ" فقطْ[١]

* * *

يغير الهيئة كــان في الغضــــب

لأنهــا لدفعه نِعـم السبــب

فاجلس له إذا أتــاكَ قائمـــا

أو جالساً كنت تحوَّلْ نائمــا[٢]

عنه أتى : إذا غضبتَ فاسكُتِ

معناه احلُم اهضُم اكظُم اثبُتِ

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾[٣] قال فاكظمنْ

وان أتى كالنار يوما فاهضمنْ

* * *

ولْيَكُ أيضا لاشديداً غضبُـك

ولاضعيفاً ، ذاك فيه أدبُـــك

يلزمُ للعاقل مقدارُ الغضـــب

لمنع رحمــة لغير مستحَـــبّ

(١) أخرجه البخاري (رياض الصالحين ٦٨) .

(٢) في الأصل « إن لم يغضب » .

(٣) سورة آل عمران / الآية ١٣٤ .

قيل: مَن استُغضبَ إنْ لا يغضبُ[1]

فكالحمار حلمه بل أغــربُ

وذاك مــن طبيعـةٍ دنيّــة

وذلــة وقـلـة الحميـــة

وانــما محمــودهُ أن يغضبــا

ويملك النفس إذا تأدبــا

* * *

قالوا : ومن أطاع منكم غضبه

فـإنـه أضــاع فيكم أدبــه

فغضب الجـاهـل في مقالـهِ

وغضب العاقل في فعالـهِ

* * *

(١) يضرب المثل بالحمار في الذل . ومن ذلك قول الشاعر

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الاذلان عير الحي والوتد وعير الحي : حمار الحي

(٢٨)

بحث

في السخاء

إنَّ أبا القاسم فخرَ الأنبيـــاء
نبعَ السخاء رأسَ كل الأسخياء
قد كان في السخاء كالغمــام
وجوده الأكثر في الصيــام[١]
أعـطـاه ربي خُمُــسَ الأنفــال
لكنـه لجــوده المفضـالِ
يُقسمُ بين المشركين[٢] نفلـــهُ
وكــان لايــأتي بــشيء أهلـــهُ
ومــرّ صفوان وذو الإنعـــام
في ساحة غصت[٣] من الأَنعــامِ
فقال خذها كلها ، قال : نعـم
لم يعطِ ذا إلا نبي مُحـــترم

(١) يشير إلى حديث كان أجود ما يكون في رمضان . أخرجه البخاري ومسلم • رياض الصالحين ٤٤٠) .
(٢) يقصد المؤلفة قلوبهم من غير المسلمين .
(٣) في الأصل « في شعب له » .

قـدوةُ أربـاب السخا ذو المنـةِ

ومـن يقود الأسخيا للجنـةِ

قد صح عنه وهو خير الأذكيـا

بغضُ الأشحاء وحُبُّ الأسخيـا

جاء : يحبُ ربنا السماحةِ[1]

لـو أنـها حتى عـلى تفاحـة

عـن النبي خـبرٌ صحيـحُ

في كـل يـوم ملَك يصيـحُ

يا ربِّ أَعـط المُنفقين خلَفـا

وأعط - ربِّ - الممُسكين تلفا[2]

وقـال : لاتحصي فيحصـي الله

عليكِ ياحفصـة في معنـاه

وقـال في فضل اليـد العُليـاء

بأنها خـير من السُفـلاء[3]

* * *

(١) يشير إلي حديث « إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء » أخرجه الترمذي (الفتح الكبير ١/٣٥٦)

(٢) يشير إلى حديث : ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر أعط ممسكاً تلفا » أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) العلياء : العليا والسفلاء : السفلى . ومدّ المقصور سائغ في الشعر ونص الحديث (اليد العليا خير من اليد السفلى) أخرجه البخاري (رياض الصالحين ١٦٣) .

وأكثِروا من العيال، لستمُ
تدرون فيها تُرزقون أنتمُ
للعبد تأتي قِسَم المعونةِ
من ربه بقدر المئونةِ
إنَّ السَّخاءَ ساترٌ للعيبِ
وجالب لخير ما في الغيبِ
إن السخاء في الكريم طبعُ
لكن سخاء البخلاء دفعُ
وقال افلاطون في الصحيفة
في وصفه السخاوة الشريفةِ :
مِن فضلها أن لا تخال أحدا
يظنّ جمع المال فيها أبدا
ويمكن العاقل فيها ذخرهُ
من غير ان ينقص منه فخرهُ
وقال في وصف كريم الخلقة
بأنه عطاؤه[1] لِرقّةِ

(١) في الأصل « بأن يكن عطاؤه » .

لا لمباهاة يكون عامـــلا

لا لمكافاة يكون آمـــلا

* * *

وحسبنا أنّ حبيب الأتقيـــاء

قد قال : «الجنة دار الأسـخيا»[1]

وعرّفوا السـخا لمن قد يبتغي

يعطي إلى [من] ينبغي ما ينبغـي

وعرفوا الإيثار في الـمزاج :

تعطي الـورى وأنت في احتياجِ

* * *

(١) أخرجه ابن عدي والقضاعي (الفتح الكبير ٢ / ٦٦) .

(٢٩)
بحث
في البخل

إن الجـــوادَ بـاهـرَ الآثـــار
هو السخي صاحب الإيثـارِ
جلّت عن البخل الذميم ذاتـهُ
بالجود قد تكرمت صفاتـــهُ
ويَـكـرهُ البُخل ومـن أحبــهُ
وطـالما استعاذ منه ربـــه

* * *

وجـاء ما معناه في الآثـــار
وصح من تواتر الأخبــارِ :
للجّنة الفاسق من أهل السـخا
أقرب حتى من تقيّ البخـــلا[1]
بـشرٍّ لمـالِ البُخلا بحـــادثِ
لا بد أن يأتيَــــه أو وارثِ

---

(١) ورد في هذا المعنى حديث « السخي قريب من الله .. وفيه والجاهل السخى أحب إلى الله من عابد بخيل » رواه الترمذي والبيهقي في – والطبراني في الأوسط (سنن الترمذي ٦ / ٩٦ بشرح تحفة الأحوذي وفيض القدير ٢ / ١٣٢) .

لايخــرج الخبيثُ إلا نَكِــدا
مالُ البخيلِ طُعمةٌ الى العِــدا
وجــاء : إنَّ البخل بالموجــود
من سوء ظن العبد بالمعبــودِ
وشر مــافي المــرء شــحٌّ هالــعُ
اعاذنا الله - وجُبنٌ خالـــعُ
ذو البخل قد تبغضــه أولاده
وذو السخا تحبه أضـــداده
قيل : وإن البخل بالطعــام
من عــادة اللئام والطَغــامِ

* * *

وقول افلاطــون فيه لا غلطْ:
يحسن في أربع حــالات[1] فقطْ:
في الدين ، والحُـرم ، والحيــاةِ
أيضاً ، وفي القتال للعـــداةِ
غاية ماهناك قــال الفضــلا:
البخل خير من سؤال البخـــلا
تعريفه : الإمساك فيما قد يجب،
عقلاً وشـرعاً، بذلُه للمحتسب

(١) في الأصل « اشياء ».

(٣٠)

بحث

في الاقتصاد

ان السـخيَّ صاحبَ التكريمِ

قد صح عنه القصد في التعليمِ

ومِن صفات أفخرِ الوجـود

ومنشأ السخاء عينِ الـجودِ

كان جوادَ الكف من غير سرف

وواسـعَ الإنفاق من غير تلف

وإنـه مع جـوده وفضلـهِ

قد صـحّ عنـه المنع في محلـهِ

أشـار لما جـاءه مُسيلمـة

الى قضيب في اليد المكرّمـة

وهو من النخل له خوصـاتُ

في الـرأس منه، قالت الـرواةُ

يقولُ : لو طلبت هذا مـني

ما كنت أعطيه فـولِّ عـني

لأنــه قــد أُخـــبرِ الأمــينِ

بكل مــا يفعله اللعـيـــنِ

* * *

وجاء في الأخبار من هذا الصــدد

كقوله: «ماعال من قد اقتصــد»[1]

وعنه أيضــاً قــد أتى فــي ذلكَ :

أمسك عليك البعض من أمــوالكَ[2]

وجاء في «مشـــارق الأنــوار» :

كيلوا «طعامكم»[3] عن المختـــارِ

ســيرزق الله الـذي قد قـــدَّرَ

قال : ويحـرم الـذي قد بـــذَّر

* * *

وقال أربابُ النُّهى والفذلكـــة:

الاقتصاد في الأمــور مملكـــة

والقصد للنفس به وقايـــة

أسرع تبليغاً إلى النهايـــة

(١) أخرجه أحمد في المسند (الفتح الكبير ٣/٩٦) .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وهو خطاب لكعب بن مالك عندما قال : يارسول الله ان من توبتي ان أنخلع من مالي صدقة لله وإلى رسوله (رياض الصالحين رقم ٢٣) المكتب الإسلامي .

(٣) أخرجه البخاري وأحمد في المسند، وتمامه : « يبارك لكم فيه » الفتح الكبير ٢/٣٣٧) .

علاجك القليل من موجـــود

ولا انتظار الواسع المفقـــودِ

تدبيرك المـالَ مع الكفـــافِ

خير من الغنى مع الإســـرافِ(١)

إصلاُح ما في اليد من حطـــام

أحسنُ من مسألة اللئـــامِ

وقــال افلاطون في التعليـــم

في صفة المقتصد الكريـــمِ:

أعقلُ أهل الجـود مع طلاقتـه

هو الـذي مستملك لفاقتـــه

يسمح فيما زاد عن عوائلـه

لا بالذي ينقص من فضائلـهْ

* * *

وماكسَ ابـنُ جعفر في درهـــم

مع أنـه أجـود كل العالـــمِ

(١) كان الإمام أحمد بن حنبل يتمثل إنما بهذا البيت :

ليل المال تصلحه فيبقى   ولا يبقى الكثير مع الفساد

فقال: ذا مالي به مننتُ
وذاك عقلي وبه ضننتُ

أشفق على الدرهم ثم العَين[١]
تنجُ من العَيلةِ ثم الدَّين

فالعينُ قرة الى العيون
وقوة للظهر والمتون

احذر إذا اتسع فيك المَخْرجُ
أن لا يضيق بعد ذاك المُخْرَجُ[٢]

وافتكر اليأس لما أمّلتهُ
واخرج من الباب الذي دخلتهُ

احذر من التقصير في الأواخرِ
إذا قصدت رتبة المفاخرِ

فخجلة التقصير في الأحوالِ
تمنعُ ذا العقل عن المعالي

* * *

(١) الذهب ويقصد به الدينار، بعد أن ذكر الدرهم وهو فضة .

(٢) أي إذا توسعت وجوه الصرف (إخراج المال) ضاق على الشخص ما يصرفه بعدئذ

قالوا : ومن لم يقتصد في عمله
يموت غَماً قبل وقت أجله
قلتُ : وشرطُ البذل عند الحَزمة
دفعٌ الى ضرورة ملتزَمة
فكل ما أمكن يوما عدمه
فخيرٌ ان يبقى إليك درهمهْ
من اشترى شيئاً بغير حاجة
باع دواماً ما إليه حاجه[1]
حافظ على المركز حسب القوةِ
لا تتعداه ولو بخطوةِ
لأنَّ من سار بحسب العادة
إذا اشتهى يمكنه الزيادة
ومَن أراد مسلكاً جميلا
فليتخذ بينهما سبيلا
ومن لكل المال كان مُتلفا
في الخير (قالوا) لا يكون مُسرفا

* * *

(١) في الأصل « لابد من يبيع ما يحتاجه » وبذلك يختلف رويّ القافية .

تعريفهم في الاقتصاد المتحـــد

كذا أتى بأنّ طبعَ المقتصـــــد

من كان لا يُـــذمّ في التقتـــير

أيضا ولا يُمدح في التبــــذيرِ

القصد لا مـنعٌ ولا إسرافُ

أيضاً ولا بـــخلٌ ولا إتلافُ

❋ ❋ ❋

(٣١)
بحث
في الإسراف

إنّ قنوعَ النفس والإنصافِ
نبيُّنا نهَى عن الإسرافِ
وكان لا يحب كل مسرفِ
يحب كل قاصد ومنصفِ
نهى عن الإسراف والإكثارِ
بالماء حتى فوق نهرٍ جارِ(١)
ثم من الإسراف ما عنه نهى
أن يأكل الإنسانُ كل ما اشتهى
الجودُ للإنسان عِزٌ وشَرَفْ
(نَعم) ولكن آفةُ الجود السَرَفْ
فغادر التبذير كلَّ آنِ
ولا تكن من إخوة الشيطان(٢)

(١) يشير إلى حديث شريف في هذا المعنى .
(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ سورة الإسراء ، الآية ٢٧ .

كن سَمِحاً ولاتكن مبــذّراً
وكــن مــقــدِّراً ولا مقتّـــرا

* * *

قالوا: ومن جاد بكل فلسـهِ
فإنه جــاد إذاً بنفســـهِ
لأنــه جـــاد بـما يحيا بـه
ولا قِــوام للورى إلا بـــهِ
في الصيف (قالوا) لا تضيع اللّبَن
فذاك في الشتاءِ يجلبُ الـحــزَن
ومــا رأيــت سَرِفــا مولَّعـــا
إلا وحــقــاً عنده مضيَّعـــا
شِرذمـــةٌ تمـدحـهُ لبذلـــهِ
وعُصبــة تــذمـــه لمطُلــهِ

* * *

قــالــوا : وكــل مــسرف مكــار
قد أوقــد الشموع في النهــارِ
أسرعُ مــا تــراه بافتضاحـــه
لا زيت في الليل لدى مصباحهِ

كأنــه ذُبالــة المقبـاس[١]
يحـرق نفســـه لأجـل الناسِ
كأنه الإبرة إذ[٢] تكسـو الورى
وجســـمها الضعيف يبقى بالعَرا

* * *

تعريفه : التبذير حسـب القوةِ
من غير حكم العقل والمُـــروَّةِ
أقــول هــذا ويــدي بالمـــالِ
أَسَرفُ بل أخرق من غـــربالِ
أقـذَفُ من ناعـورة لِمـا وعت
أَضَيعُ من طاحونة لَمـاحَـــوَت[٣]
أمحــقُ مـا جمعتـه كالنحــلةِ
لا أعرف التـوفير[٤] مثـل النملـةِ
نسأله ســـبحانه والأمــر له
بأن يُرَى[٥] أخلاقُنا معتدلـــــة

---

(١) أي المصباح ، من القبس وهو الضوء.
(٢) في الأصل « قد » .
(٣) في الأصل « سعت » .
(٤) في الأصل « التدخير » .
(٥) في الأصل « يكن » .

(٣٢)
بحث
في الصدقة

إنَّ كريمَ النفس أهلَ الشــفقة
ومن أتى يأمرنا بالصـــــدقة

كــان (نَـعَـمْ) عطاؤه إيثـــارا
لباسه جــادَ بــه مِـــــرارا

وقد أتى في صدقـات المُصطفى
ما ردَّ قطُّ سائلاً إلا كفـــى[١]

قال: «سيطفي غضبَ الستَّارِ
تصدقُ السر» حبيبُ البــاري[٢]

وعنه في روايـــة مُحققـــة:
الكل منكم تحت ظل الصدقـة[٣]

---

(١) في الأصل « عطا ».

(٢) إشارة لحديث « صدقة السر تطفئ غضب الرب » أخرجه الطبراني في المعجم الصغير والبيهقي في الشعب (الفتح الكبير ٢/١٨٧)

(٣) إشارة لحديث « كل امرئ تحت ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » أخرجه أحمد والحاكم (الفتح الكبير ٣٢٢).

أحسنها ما كان عن ظهر غِـــنى،

وابدأ بمن تعول»[١] قد قال لنــا

* * *

وقد أتى عن النبي الأصـــدقِ:

تداركوا الهمومَ بالتصــــدُّقِ

ليكشف الله تعالى ضُرَّكـــمْ

ثم على عدوكم ينصركُــــمْ

معنى الحديث تاجروا الرؤوفـا

بالصدقات تربحوا أُلوفـــا

إن أبطأ[٢] الرزق فقال المتقــي:

استنـزلوا الأرزاقَ بالتصــدّقِ[٣]

* * *

هــديــة الله إلى طلاّبـــهِ

أن يرسل السائلَ نحو بابـــهِ

فادفعه بالإحسانِ لا بالحسـرة

ولــو بشق تمــرةٍ أو كِســـرةِ

(١) الحديث في البخاري بلفظ « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول » (الفتح الكبير ٢ / ٩٧).

(٢) في الأصل « وان بطي » .

(٣) بشير إلى حديث « استنزلوا الرزق بالصدقة » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (الفتح الكبير ١ / ٣٨).

وما وقَى العرضَ به فصدقة،
على ذوي القربى كذاك النفقهْ
ينفع ما أنت إليه معطي
لو أنه إلى كلابٍ أُعطي[1]
وكن إلى الخلق جميعاً محسنا
وأقرض الرحمن قرضاً حسنا[2]

* * *

قد قال أهل العلم اتفاقا
إياك أن تعارض الخلّاقا
أنك تُعطي لغنيٍ افتقر
أكثر من قوت نهار مختصر
لأنَّ ربنا عظيم النعمةِ
سبحانه أفقره لحكمةِ
لا تكُ في منح القليل في خجلْ
فإنما الحرمان من ذاك أقلْ

* * *

(١) في الأصل « معطي ».
(٢) أي تصدقوا وهو المراد بالقرض الحسن في القرآن .

(٣٣)
بحث
في البر والإحسان

إنَّ النبي المصطفى العدنـاني
يأمر بالبر وبالإحسـانِ
وكـان مـن سُنته الأنيقـةِ
الـبر والإحسـان للخليقةِ
وربنـا نعبـده ممِـدُّ
ما دام في عون أخيه العبـدُ(١)
وقـد أتـى: «الـبرُّ شيءٌ هيِّـنٌ
وجه ضحوكٌ ولسـان لينُ»(٢)
كقولهم: أحسن الى من قد أسا
واضحك إلى من قد أتاك مُعبسا
وانفع ولا تؤسِ فخـير الناسِ
من ينفع الناس ولايؤاسـى(٣)

---

(١) يشير إلى حديث « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » أخرجه البخاري ومسلم وهو جزء من الحديث الذي أوله : من نفّس عن مؤمن (رياض الصالحين رقم ٢٥٠) المكتب الإسلامي .

(٢) يشير إلى حديث « خير الناس أنفعهم للناس » أخرجه القضاعي (الفتح الكبير ٢ / ٩٨) .

(٣) أي لا يسبب للناس الأسى أي الحزن .

وساعد الإنسان بالمقالِ
إن لم تكن مساعداً بالحالِ
واسعَ إلى إغاثة الملهوفِ
وقابل المعروفَ بالمعروفِ

* * *

قالوا ومن ليس له إحسانُ
فإنه ليس له إخوانُ
صنائعُ المعروفِ للبرايا
تقي الفتَى مصارع البلايا
السَّبعُ إن اشبعته لايجرحُكْ
والكلبُ إن تحسن له لا ينبحُكْ
والمرءُ مطلوب بما يمكنهُ
وقيمة الإنسان ما يُحسنهُ

* * *

(٣٤)
بحث
في العفو

إنَّ النبي ذا الخصال الصالحـــة
ذا العفو والغفران والمسامـــحه
قد كان يعفو كرماً ويصفـــحُ
وكــان يعفو دائــماً ويســـمحُ
وطـــالما قُــريشُ قــد آذوه
وأخــرجــوهُ ثــم قاتلـــــوهُ
صــدّوهُ عن حَـــجّ وهم ألوفُ
ظلماً له وهــديُـه معكـــــوفُ
من بعد ذا عامَلَهُم بالصَّفـــحِ
وقــال:«لا تثريب» يومَ الفتــحِ
يُخلف ما أوعـدَ يوفي ما وعـــد
كعفوه عن كعبٍ لما أن قعـد[١]

(١) يقصد كعب بن مالك ، وحديث توبته في رياض الصالحين الرقم (٢٢) و(أوعد) للوعيد بالشر، و(وعد) للوعد بالخير

وابـن أُبيٍّ قد عفا عن فعلـــه

وابنهُ استأذنه في قتـــــله[1]

وكان للرسولِ من أعدى العـِدا

وللمنافقين كـان سَـــيِّدا

مِن بعدِ هذا عـادَهُ لمـا مَرِض

وبالقميـص بَــرّه لما قُبـض

ثُــمَّ القميصُ كفّنوه فيـــهِ

وصـلى في أصحـابـه عليـــهِ

لأجله النهـــي من الله وردْ

أن لا تصلِّ منهمُ على أحـدْ[2]

عن المنافقين مـاذا الصفـــح؟

من بعد إفكهم وماذا النصـــح؟

* * *

نرجو إله العَرْش[3] يعفو عنَّـــا

العفو منه والخطايا منَّـــــا

---

(١) يقصد عبد الله بن أبي سلول ، حين آذي النبي ﷺ .

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ سورة التوبة الآية ٨٤

(٣) في الأصل نرجوه أيضاً ، بحيث يكون عود الضمير للرسول ﷺ .

وفي الحديث: واعفُ عمن ظلمك

تكرماً، وأَعطِ من قد حَرَمك

وأنّ خير الصفح عفوُ المقتدر

وأحسنُ السخاء جودُ المفتقر

مَن يتتبع أصغرَ الذنوبِ

يُحرم من مودة القلوبِ

والخَلقُ إن طال لهم عتابك

يهون في أعينهم إغضابك

وإن عفوتَ لا تُقرِّع بالجَفا

بالذنب مَنْ قرَّع فهو ما عفا

فالمرءُ يخطي[1] والجواد يكبو

والصارمُ الباترُ حيناً[2] ينبو

* * *

(١) في الأصل « يجنو » .

(٢) في الأصل « بعضا » .

(٣٥)
بحث
في المرحمة

إنَّ الرحيّم طاهرَ الفـؤاد
سيدَنا الشفيقَ بالعبـادِ
قـال: ارحمـوا غنيّ قـومٍ افتقَـرْ
وأكرموا عزيز قومٍ احُتقِـر[١]
حسبك من رحمـةِ خير الأمـةِ
إرسـالُـه للعالمين رحمـةِ
وكُـلّ من في الأرض فارحمـوه
يرحمكم من في السَمَا فادعوهُ[٢]
الـراحمـونَ لا يَـرون بُؤسـا
سيرثون الأرض، قال عيسى

* * *

(١) يشير إلى حديث اسانيده واهية، وإنما يوف من كلام الفضيل بن عياض وهو : ارحموا عزيز قوم زل، وغنياً افتقر، وعالماً بين جهال » (كشف الخاء ١١٥) .

(٢) في الأصل « تدعوه » والحديث « ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء » أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد أبو داود والترمذين صححه الحاكم، وله شواهد في الصحيحين (كشف الخفاء (١٠٩) .

قلت : وإنّ رحمة الفؤاد
واجبةٌ حتى على الجمادِ

على الصديق وعلى العدو
وكُلِ ذي روح وذي نُمُوِّ

* * *

وعَرَّفوا الرحمة في الحقيقة:
إزالة الضُّرِّ عن الخليقةِ

والرقة التأذي في الفؤاد
من الأذى اللاحق للعبادِ

* * *

(٣٦)
بحث
في المروءة

إنَّ الذي به الورى قد اهتـدتْ
ومن به أهل المـروءة اقتــدتْ
قد كان (قالوا) خاتمُ النبــوةِ
في الغاية القصوى من المــروّةِ
وهي مراعاتك للأحــوالِ[1]
بـأنهـا تـصـدر بالكمــــالِ
لايصـدرُ القبيح فيها عامــدا
والـذم لايلقى لها مــــواردا
وانهـا اسـم جامع في أصــلها
الى محاسن الطباع كلهــــا
وإن أردت تـدري ما المــروّه
قد قـال أهـل الفهم والفتّــوة

(١) في الأصل « وهي مراعاة إلى الأحوال » .

للنفس تلك رغبة صدّاقـــة
في النفع للناس بحسب الطاقـة
وإنـما الـداعـي إلى المـــروّةِ
شيئان عند صاحب الفتـــوّةِ
فهمَّـــةٌ عاليـة رفيعـــةِ
ونخوة في النفس والطبيعــةِ

* * *

وقــال أهـل العقل والفتــــوة
في الفرق بين العقل والمـــروَّةِ:
يـأمـرُ ذا بأنفعِ الأشـــياء
وهـــذه بـأجمـــلِ الثنــاء
في وصفها قد قيل باختصــارِ:
أن تحمل المكروه إذ تـداري[1]

* * *

(١) في الأصل « حملك للمكروه بالمدارا » .

(٣٧)
بحث
في الحياء

إنَّ الحبيبَ الهاشمي الأبطحـــي
نبينا هو الكريُم المسُـــتحي
ووصـفـه في شـــدة الحيـاءِ
في خدرها أحيـــا من العذراءِ
وكــان لايُثبت في وجـــه أحد
عينيه من عُظْم الحيَا، كـذا ورد
يُبغض ربنا الوقَّـــاح الملحفا
ويحمد الحييَّ[1] والمســتعفِفا
وجـه الفتى زينتهُ حيـــاؤهُ
وكـل غصنٍ حُســـنه لِحـاؤه
إنَّ الـذي صـاغَ الحيـــاءُ ثوبَه
يستر عن كل الأنـــام عيبَـــهُ
إنَّ الحيا ممـزق إلى الحشـــا
إن كنت لا تستحي فافعل ما تشا

(١) في الأصل « نعم يحب الحيي » .

ما تستحي من ذكـرهِ علانيــة
في السر لاتفعله مثل الزانيــة
من استحَى من القبيح في الملا
وما استحى من نفسه إذا خلا
فاعلم بـأن ذلـك البهيمـة
ليس إلى النفس لديه قيمـة

* * *

يـزعـمُ أهـل الـحزمِ باتفاقِ
أن الحـيـاءَ مانـــع الأرزاقِ
لا تستَحِ ممـا يـضر نفســكَ
بل استحِ مما ينافي حَدسـكَ
من استحى من بنت عمّه فقـد
قال العـوام: ليس يأتيه ولــد

* * *

إنَّ الحياء حَصْر نفس المسُتحى
خوفاً من ارتكابه للمُفضــحِ

* * *

(٣٨)
بحث
في التغافل

إنَّ الرسولَ ســـاترُ العيوبِ
وشافع الــزّلات والـــذنوبِ
قد كان من أخلاقــهِ الجميلةِ
يغض طرفــه عــنِ الرذيلــةِ

* * *

لــه تغافل لمـا لا يشـــتهي
إلا الذي في النص عنـه قد نُهي [١]
قالــوا : وثلث الكرمِ التغــابى
فأقصِر الطرفَ عن المَعــابِ
وسامعُ الفحشاءِ إن أفشــاها
فإنه مثــل الــذي أتاهــا [٢]

(١) ومما يستحسن من الأشعار في ذلك قوله بعضهم :
ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي
(٢) قال عثمان بن زائد العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في التغافل .

(٣٩)

بحث

في الإخلاص

إنَّ التقيَّ قـدوةَ الخـــواص
هو النقيّ جذوة الإخـــلاصِ
قال: اخلصوا النيـة بالخيراتِ
فإنما الأعـمال بالنيـــاتِ[١]
فاعلم بـأن ســيد الخـواص
يأمر بالصدق وبالإخـــلاصِ
والمخلصون (قال) هم على حذر
فكيف مَن سِواهمُ من البشــر
وعن عليّ جاء في الإخــلاص
ســرٌّ من الله إلى الخـواصِ[٢]

* * *

(١) يشير إلى حديث « إنما الأعمال بالنيات » أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) في الأصل : سر يضعُه الله في الخواص .

صدقك في الباطن والخواطــر
يريك مــا تحبه في الظاهـــرِ
فأخلص النيـــة والإرادة
يكفيك ما قــلَّ من العبــادة
لله كُــل واشرب ولاتبــالِ
والبس له واخلص بكل حــالِ
وكــل مــا خالطه تفاخـــرُ
فهو ريــاء أنــت فيه خاســرُ

* * *

(٤٠)

بحث

في الرياء

إنَّ حبيبَ المخلصين اليثــربي
قــرةَ عين الصادقين العـــربى
كان يحبُ الصدقَ في الأشياءِ
ويـكــره الــريــاءَ والمرائـــي
وصِـدقُـه جـلّ عن المعـــرِّفِ
قد وصف الرياء بالشرك الخفـي
حـجَّ على رحـلٍ رثيثٍ خَلــقِ
وكــان ليس يُشــتَرَى بــدانقِ
يـقــول: يــافـردُ بـلا شـــبيهِ
اجعلْه حجاً لاريــاءَ فيـــهِ(١)

* * *

(١) أخرجه .ابن ماجه بلفظ « حج النبي ﷺعلى رحل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تسوى ثم قال : اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة .

لا يَقبلُ الرحمنُ منك عمــــلا

وفيه مثل ذرةٍ مــن الريــــا

ويــلٌ لمن أرضى الــورى لســانا

والقلبُ منه أسخط الرحمانــا

وقــد روينــا عن علي المرتضى

فعلك لا تنوِ به ســوى الرضا[١]

والخــيرُ لا تفعلْه للريـــاءِ

أيضاً ولا تتركه للحيـــاءِ[٢]

* * *

وعرّفوا الرياءَ: فعلٌ أُخــروي

يقصد منــه كل نفعٍ دنيوي

* * *

(١) أي : رضا الله تعالى .

(٢) قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما (الأذكار للنووي) .

(٤١)
بحث
في الشكر

إنَّ النبيَّ القانعَ الصبـــورا
كـان رضّياً حامداً شَـــكورا
يَحمُد في الـّسراء والضــرّاءِ
يَشكر في البلوى وفي النعمــاءِ
وحمــده أجَــلُّ من أن يُذكـــرا
وشكره أشهرُ من أن يُشـــهرا[١]
وقـال: بالشكر تـدوم النعـــمُ
تدومُ أيضاً ويزيد الكـــرمُ[٢]
جاء: انظروا الى الذي مَنْ تحتكمْ
لاتنظروا إلى الذي في تختــكمْ[٣]
فإنه أجــدر أن لا تـــزدروا
نـعـماءه عليكم فتكفـــروا

(١) في الأصل « يشكر » .
(٢) الحديث لم أجده .
(٣) الحديث « انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم » أخرجه البخاري ومسلم (رياض الصالحين رقم ٤٧١ ط المكتب الإسلامي) .
والتخت السرير، ويستخدم لسرير الملك.

فكم زمــانٍ قـد ذممتمـــــوهُ

فـجـاء غــيرُه مدحتمـــــوهُ

❋ ❋ ❋

من لم يكن يشكر فضــل الناس

لم يشكرِ الله عظيـــمَ الباسَ

لأنَّ مـن لم يعرف القليـــلا

لم يعرف الكثير والجزيـــلا

واشكر لمن في عمـره أنعَم لك

أنعم إلى كل امـرئٍ قـد شكرك

أكثر من الشكر لدى السـعادةِ

فـإنـه يستوجب الزيـــادةِ

❋ ❋ ❋

وعرَّفوا الشكر: انبعاث الجارحة

جميعها بالحركات الصالحـــة

❋ ❋ ❋

(٤٢)

بحث

في الحرص والقناعة

إنَّ النبي صاحبَ الشــفاعة
قد كــان من ســـنته القناعة
قال: اجملوا في طـلب الأرزاقِ
فالرزق في خزائن الــرزاقِ(١)
قد عُرضت لذاته الجبـــالُ
والكلُّ منها ذهــبٌ ومــــالُ
أعــرضَ عنها ودعــا عفـــافا
بــأن يكون رزقُــه كفافـــــا
يشبع يــوماً ويجــوع يومـــاً
ويوما افطارا ويوماً صومــــا(٢)

(١) نص الحديث « أجملوا في طلب الدنيا فإن كلا ميسّر لما كتب له » أخرجه ابن ماجة والحاكم والبيهقي (الفتح الكبير ١/٤٥) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٥٤ والترمذي قوله ﷺ : عرض علي ربي عز وجل يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما – أو نحو ذلك فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك وهو حديث ضعيف (فيض القدير ٤/٣١٢)

عن عائشةْ: كان يمرُّ الشـــهرُ

لا توقد النارُ ويغلي القـــدرُ

* * *

إن هو الا التمـــرُ ثم المـاءُ

هو الغَداء وهو العَشـــاءُ[1]

وكـلَّ حرّ فهو عبدٌ إن طَمِـع

وكـل عبد فهو حـرٌّ إن قَنِـــع

وجاء في أمثالهم: من قد شـــره

فـإنـه يقع فيما قـد كَـــــره

ازهد بمن شـئتَ تكن نظيَرهُ

وارغب لمن شـئتَ تكن أسيرهُ

وكل من قد كان عنـك معرضا

فلا تكن أنـت له مُعترضـــا

قالوا: ومَن أمَّل شـخصاً هابَهُ

والـشيء مَن يقصـر عنه عابهُ

إنَّ الـذي يطلـب ما لا يَعـني

لا بُـدّ أن يفوته ما يَعـــني

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/٧١) عن عائشة رضي الله عنها: كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوت رسول الله ﷺ.

وبعضهم قـال وقـد أصـابا:

الـرزق إن جـاء يـدقُّ البـابـا

إنَّ الـذي أوجـدني من عـــدمِ

حضّر رزقي قبل أن شـــق فمي

نصيبك المقدورُ لَكْ[1] يصيبــكَ

لا أحـد يعطي ولا يخيبـــكَ

لا ترج (كَيوان)[2] ولا تخش الفلك

لا بد أن يأتيــك ما قُـدِّر لك

العزّ والرحمة في (القناعـــةِ)

وعكسـها في الأنفس الطماعةِ

في وصفها قد جاء هـذا المعنى

بأنهـا: كنـزٌ وليس يفـــنى

* * *

كـل قـنـوع جـاءه المقســومُ

كل حريص فهو المحــــرومُ

ولا تقل: حظي ورزقي قاصـرُ

فهو على من ســيموت وافرُ

---

(١) في الأصل « قد » !

(٢) يقصد التنجيم . وكيوان : هو اسم لزُحَل (القاموس المحيط، مادة كون) .

إن أنت لم تقنع فما في الأرضِ

لم يك كافيك وليس يُرضى

وإن قنعت بعضُ شيء كافِ

فلتحمل[1] النفس على العفافِ

والرزق لا يزيد بالصراخ

أيضاً ولا ينقصُ بالتراخي

* * *

(١) في الأصل « فاحمل » ولا يستقيم الوزن إلا بجعل همزة الوصل همزة قطع (فأحمل).

(٤٣)
بحث
في الصبر

إنَّ إمـام الصابرين القرشـــي
صلى عليه الله صبحاً وعَشـِي
من الصفات فيه: كان صــابرا
وكــان مـأمـوراً به وآمِـــرا
والصبرُ من أخلاقه قد انتشــر
وصبره من فوق طاقة البشــر
كصبره عـلى أذى الكــفارِ
وليس يدعو الله بالدمـــارِ
يـؤذونـه بأعظم النكايـــة
وهو يرجو لهم الهدايـــةِ[١]
يقول :«انـما بعثتُ رحــمة»
وما بعثت لاعناً للأمـــة[٢]

---

(١) في الأصل « وهو لهم يستدعى بالهداية » ؟!

(٢) يشير إلى الحديث « ان الله لم يبعثني طعانا ولا لعانا ولكن بعثني داعياً ورحمة اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (الفتح الكبير ١/ ٣٤٣)

قال: ﴿يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ﴾[1]

أيضاً يُسهل الإلـهُ أمرهـم

لاتـدركـون ماتحبون سـوى

بالصبر عما تكرهون والهـوى

والصبرُ صبران: على الكريـه،

كـذاك عـمّا أنـت تشـتهيهِ

صبراً على أهوالها ولا ضجـر

فربما فـاز الفتى إذا صـبر

الصبرُ في تـجرّعٍ إلى الغصص

وفي انتظارٍ لظهـورات الفُرَص

* * *

والصبرُ فاسـتعمله عند الخطر

فـإنـه مطيـةٌ للظفـرِ

قد جعلوا الصبر شـبيهاً بالدرج

يصعد راقيه إلى قصـر الفـرج

لا يجزع العاقل من مهمّـةِ

ولـو أتـت دهـاء مدلهمّـةِ

(١) سورة الزمر الآية / ١٠

لكنه يعلو على البـــلواءِ

بالصبر والتـــدبير والآراءِ

واصبر فإن النُّجح عند الأكثـرِ

يذهب بين العجز ثم الضجــرِ

لا عاقلٌ من ضاق في عسرتـــهِ

صـدراً لمن لا بُـدَّ من عشرتـــه

قالوا: ومن لم يصطبرْ لِكَلِمـــهِ

يسمع أيضاً كلماتٍ مؤلمـــة

* * *

صـبرك للسفيه في جهالتـــه

ولا تجليك لـــه بحالتـــه

ذو الجهلِ إن لم تعطِه جوابـــا

حسُبك قـد أوجعتَه عقابـا

* * *

الصبرُ: حبس النفس عند الجزعِ

والحرب: صبر النفسِ حين الفزعِ

* * *

(٤٤)
بحث
في التسلي

إنَّ الـذي الـربُّ لـه تجلّـى
وهـو بـه عـن غـيره تسـلى
ما كـان للدنيا بـذي احتفـال
بالحق عنها كان في اشـتغالِ
جاء: انظروا إلى ذوي القبـور(١)
إذا تحيرتم لـدى الأمـورِ
وهـوّنِ الأمـر يهون الأمـر لك
ليس لك الأمـر وليس للفلك

* * *

واللهُ إنْ لعبـده أحبّا(٢)
صـبّ بـلاءه عليه صـبّا

(١) في الأصل « استعينوا إلى ذوى القبور » .
(٢) في الأصل « إن كان لله بعبد حبّا » .

فعِلّة أو قلـّة أو ذلّــــة،

للمؤمنين هـــذه أدلّــــة

وحـــــادث الـدهـــر إذا ألّـما

فلا تضع في القلب منـــه غما

لا غمَّ لاسرورَ يبقى في أحـــدْ

وقالت:الأعجام (أبد يَكدردْ) [1]

* * *

(١) معناه : لاهمّ بدوم .

(٤٥)
بحث
في التوكل

إنَّ حبيبَ الله ذا التسليمِ
ذا الصدق والتوكل العظيمِ
قد كان من سنته التوكلُ
والصبرُ والرضاء والتحملُ
كان من الله تعالى في ثقة
ما كان شأنه[1] ادّخار النفقة
لم يدّخر قَطُّ لأهل دارهِ
أكثر من قوتٍ الى نهارهِ[2]
لقد أتى: ما خابَ من توكلا
واللهُ بالرزق لقد تكفلا
قال: «اعقل الناقةَ» للأعرابي
«ثم توكل» صادقُ الخطابِ[3]

(١) في الأصل « فيه ».
(٢) بل ثبت أنه ﷺ كان يدخر قوت سنة لأهله .
(٣) أخرجه الترمذي « أعقلها وتوكل » (الفتح الكبير ١/٢٠١) .

ومن غدا يسـخط من دنيـاهُ
كأنما يســخط مـن مــولاهُ
الله حسبي في جميع أمــري
بـه غناي وإليـه فقــري
رحمتــهُ هطالـةٌ علينـا
أرحــمُ مـن أنفسُــنا إلينا
أرحــمُ للإنسـانِ من آبائـه
وهـو له أقـرب من أعضائــهِ
يستفقد المخلوق بالســكينةِ
وليس ينسى كلبة مســكينةِ
يحفظ للظالم قصــرَ داره
لأجل عصفورٍ على جــدارهِ
ليس بمخلف تعالى وعــده
قال ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾
جـاء: وانّ رَّبنا ذو غــيرة
يغار من عبد يُرَجّي غــيرهُ

ثم[1] يجازيه بعكس ماانتــظرْ

من حيث ما أَمَّلَ قد يلقى الضررْ

قلت: وقـد شاهدتها مــرارا

وذقــت ممـن أرتجـى مَــرارا

يرزقنا من حيث لانحتســب

كي ندري أن العبد لا يكتسب

❋ ❋ ❋

(١) في الأصل « أليس » والتعديل لموافقة الآية ٣٦ من سورة الزمر

(٤٦)

بحث

في السعي والأسباب

إنَّ الـذي كـان بنا رحيمـــا
وفعله كـان لنـا تعليمـــا
قد صحّ عنه وهو ســيد الورى
آجر واســتأجر باع واشترى
وكـالـة إعــارة مشـــاركة
واردة في الســنن المباركـة
والـرزق بالأســباب والأدلـةِ
كقوله : هُزّي بجذع النخلـــةِ[١]
هل ينهض البازي بلا جنـــاحِ
هل يُفتح الباب بلا مفتـــاحِ
قلت: الحديد بالحديد يفلـــجُ
والطير بالطير لقد يســـتخرجُ
قال الحريـري، ونِعم ما كتـب :
من جالَ نالَ، من طلب فقد جلب

---

(١) إشارة لقوله تعالى لمريم ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ سورة مريم الآية ٢٥

قالوا: ومن لم يحتــرف لم يعتلف
لا بدّ يوماً حاله أن يختـــلفْ
قالوا: ومن لم يركب الأهــوالا
لم يَنل الـثروة والأمـــوالا
والشغل إن كان إليك يُجهـدُ
فاعلم إذاً أن الفراغ مُفســدُ

* * *

وفي الفراغ قال أصحاب الحكَم
بيتاً شهيراً مثل نارٍ في علــم(١)
«إنَّ الشبابَ والفراغ والجِـدةْ
مفسدة للمرء أيُّ مفســدةْ»

البيت من أرجوزة الأمثال لأبي العتاهية

* * *

وقيل في الحثِّ على جهد الطلبْ:
إيثــارك الراحة يأتي بالتعبْ
ما سهري إلا لطــول رقدتي
ما تعبي إلا لطول قعـــدتي

(١) في الأصل :

وفي الفراغ قال أهل للحكم   اشهر هذا البيت صار من علم !

ولا يخفى التعقيد الذي استوجب التعديل .

قيل: استعن بكثرة الإبـــرامِ

على الأمــور ثم بإلاقـــــدامِ

فاسعَ ولا تمِل الى الوســـادةِ

ولا تكن كســـلانَ ذا بـلادةِ

لا ترضَ أن النمل منك انفــعُ

في صيفها إلى الشـــتاء تجمعُ

* * *

(٤٧)

بحث

في الإقدام

إنَّ النبيَّ كـانَ في الإقــــدامِ
على الأمـورِ ثابتَ الأقــــدامِ
وهو مقيمُ الدين ذو الفتــوةَ
ونــاصر الحـق شديد القـــوةِ
قد كـان بالحق على الإقـــدامِ
ســـيدُنا مِنْ أجـرأ[١] الأنامِ
عليـــك بالجرأة، جاء في الخبر
فإنها أيضاً من أســباب الظفر
قالوا: وإن الغُنْمَ بالإقـــدام
وانــما الخيبة في الإحجـــامِ

* * *

(١) في الأصل « من أخبر » !

الحريري أبو محمد القاسم بن علي صاحب المقامات المشهورة وقوله في المقامة الساسانية ص ٥٤

حثَّ الحريريُّ على الإقدامِ
قال ولو كان[1] على الضرغامِ

وقال: إن جرأة الجنان
تطلق منك عقدة اللسان

وقوله: من هاب خاب واعتسر
وقوله: أيسرَ كُلٍّ[2] من جسر

* * *

(١) في الأصل « يكن » !

(٢) في الأصل « من كل » !

(٤٨)
بحث
في الإهمال والتوانى

إنَّ الرسولَ صـــادقَ الإراءة
ذا الصبر والتمكين والأنـــاءة
قدكره[١] التسويفَ (كان) في العمل،
كما استعاذ ربَّه من الكســـل[٢]
وقال في العجز، احتراساً منـــهُ
إنكُمُ لتُسألون عنـــــهُ[٣]
إنَّ المسوِّفين هم في هَلَكـــــة
والهمةُ العلياءُ نِعَم المَلَكَـــــةْ
قد أنكحوا العجـــزَ الى التوانى
فأنتجا ولادةَ الحـــــــرمانِ
وأنكحوا الخمول والحماقـــةْ
فأنتجا ندامة وفاقـــــــةْ

(١) في الأصل « يكره ».
(٢) يشير لحديث « اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل » أخرجه مسلم (رياض الصالحين رقم ١٤٨٢) .
(٣) أخرجه أبو داود (٢ / ٢٨١) حديث « ان الله تعالى يلوم على العجز، ولكن عليك بالكَيْس، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل ».

قال الأُلى :البركة في الحركـــة
وأجمعوا أن التواني مهلكــــة
يستظهر العدو كــــل آنِ
على الفتى من غفلة التـــواني
قد وصف الفقرَ أولو المعـــاني
أنّ أبـاه العجزُ والتـــواني
إنَّ التواني بئس من رفيـــقِ
مضيّع للحزم والحقـــوقِ
وفي كلا الدارَين رأس الخيبـــةِ
تبّاً له فلست أحصي عيبـــه
لكنما الجهــــد بـلا أوانِ
شرٌّ على المـرء من التـــواني

* * *

(٤٩)
بحث
في العجلة

إن الرزيَن الكامل الرســـولا
ماكان طياشاً ولاعجـــولا
قد كـانَ لايحب فعل العجلـة
إن الأنـاة عنده مُفضـــلة[١]
إيـاك والعجلة فهي العطـــبْ
(أمّ الندامات) تســمّيها العربْ
كـلُّ عجول خائب معنّـــى
ومـن تأنى نـال ماتمنـــــىّ
لأنهـا مفسدة للمشغلـــــة
وأصلها النقصان في المخيلـــة
تستخرج الأفعال وهي فجّــةِ
من قبل أن تنضجها بالحجـّةِ،

(١) في الأصل « وعنده الأناءة المفضلة ».

في خمسة (قالوا) تُحَبّ العَجلـة :

(١) أولها زواج بنت مُهمَلــة

(٢) وفي قِرى ضيفٍ أتى للبيبتِ

(٣) ومثلْهُ تعجيل دفن الميْـتِ

(٤) أيضاً وتعجيلُ أداء الفــرض

(٥)كذا وفاء الوعدِ، ثُم القــرضِ

* * *

(٥٠)
بحث
في الفرصة

إنَّ التهاميَ صحيحَ القَصَــصِ
قد حثنا على انتهازِ الفُــرَصِ
أولُهــا سَعْيكَ في الثَّـــوَابِ
قبل مــرور فرصة الشـــبابِ
أيضاً وعن شــفيعِ يومِ البعث
ترجمتُ مامعناه مـن ذا البحثِ:
من فتحت لديه باب نعمـــةِ
فلينتهز فرصتـــــه بالهمةِ
فإنه لا يــدري بالصـــواب
متى يُسدُّ عنه خير البـــاب[1]

* * *

(١) هذا المعنى ورد في حديث شريف .

قال الألُى: إذا أصبتَ فالزمِ
وبعدها اذا وجدتَ فاغنمِ
وكلُ تأخيرٍ له آفاتُ
وكل عزمٍ فله بَدَوات[1]
وفرصة الدهر بلا إيابِ،
سريعةٌ تمرّ كالسحابِ
من أخّر الضربة حين بأسهِ
فسوف تأتيه غدا برأسهِ
ولاتدع شغل النهار لغدِ
وباشر الأمرَ بقلبٍ جلدِ
رأيتُ في (الصادح ثم الباغمِ)[2]
ذا البيت فاتخذته للحازمِ:
(وانتهز الفرصة إن الفُرصة
تعود إن لم تنتهزها غَصّة)

(١) أي تردد حيث يبدو للإنسان تغيير ما عزم عليه .

(٢) الصادح والباغم هي منظومة على أسلوب كليلة ودمنة، بلغت ٢٠٠٠ بيت، الّفها أبو يعلى محمد بن محمد ابن الهباريةالهاشمي العباسي البغدادي المتوفى ٥٠٩ وهي تتكون من قصائد واراجيز، وقضى في نظمها ١٠ سنين وقدمها للأمير سيف الدولة ابي الحسن صدقة بن دبيس.
أولها : الحمد لله الذي حباني .. بالأصفرين القلب واللسان
وذكر أولاً باب الناسك والفاتك ومناظرتهما، ثم باب البيان ومفاخرة الحيوان، ثم باب الأدب (كشف الظنون ٢ /١٠٦٩)

(٥١)
بحث
في الشجاعة

إنَّ جَسورَ القلب ذا الشــجاعـةِ
ومن أتتـه الخَلق بالإطاعـــةِ
نبَّينا أقـوى الورى ســـلطانا
أثبتُهُم أشـــجعُهم جَنانا
وعــن عـلي أســـدِ العبادِ
قد قال: كنا نحن في الجهـــادِ
نلجأُ للرسولِ عند الشِـــدة
فيدرأ الكفـار عنا وحـــده (١)
مـــا رآه أحـــد مُقفّيـــا
جلّ عن الفرار فخرُ الأنبيـــا
بل طالما الكفار ولّـوا هربـــا
وهو يصيح في قَفاهم طَربـــا

(١) يشير لقول علي رضي الله عنه : كنّا إذا حمي الوطيس نتّقي برسول الله ﷺ .

بقوله: «أنا الرسول لا كــذِبْ»

وقوله: «أنا ابن عبـــد المطلبْ»[١]

جـاء: يحب ربنا الشـــجاعة

ولـو بقتل حيّةٍ لَسَّـــاعة

يحب ربنـا (يقـول الـهادي)

كلَّ غيورِ الطبع في العبـــادِ[٢]

قالوا: تواضعوا لمن قد أحســنا

وانتصفوا ممن أسَا ومن جـــنى

هذا ولو كان الغلامَ الحبشـــي

وذاك لو كان الرئيسَ القرشـــي

وثبّت النفس على الشـــجاعةِ

شجاعةُ الإنسان صبرُ ســـاعة

وحقَك استخلصه من أصحابــهِ

ولـو حـواه أسـدٌ في نابـــهِ

كن للعدو مثل ليث عـــادِ

وللصديق مثلُ غيثٍ غـــادِ

(١) في غزوة أحد حين تراجع الجيش وظل عليه السلام في قلة من أصحابه ومن هذا شأنه يخفي نفسه لكنه رفع بهذا الرجز صوته من شجاعته عليه الصلاة والسلام .

(٢) يشير إلى الحديث « ان الله يحب من عباده الغيور»، أخرجه الطبراني في الأوسط (الفتح الكبير١ /٣٥٧).

(٥٢)
بحث
في العزة والشهامة

إنَّ النبيَّ صاحبَ الكرامةِ
ومن له العزّة والشهامةِ
هو العزيز نور رب العزّة
والله في الدارين قد أعزّه
والنفسَ صُنها، عَزَّ من أجلَّها
جاء: أذلَّ الله من أذلّها
يكره سفسافَ الأمور الربُّ
لكن لأعلاها إليه حُبُّ

* * *

ان رمت عزّاً فدعِ المطالبا
عَزَزْتَ مطلوباً ذلِلْتَ طالبا
لا عزّ من إهنُا أذلَّهُ
أيضاً ولا ذلّ الذي أجلهُ

من لم يكن كالذئب في الشهامةِ
تأكله الكلاب لا كرامــــةِ
إن كنت حـراً فاختر المنايـــا
تجـرّعـاً وغــادر الدنايـــا
الحـر لايـــذّل للصعــــابِ
أيضاً ولا يـدرّ بالعصــابِ

* * *

وقــال أهل الفضل والبيـــانِ
حب المديح عـادة الإنســانِ
وذا مثالٌ عزَّ من أرســـله :
النار للحر ولا الـعـارُ لـــه
وكِسْــــرةٌ بعزة وجِـلّـةِ
أطيبُ من فـالـوذجٍ بذِلـــةِ

* * *

(٥٣)
بحث
في الهمة

إنَّ النبيَّ صـــاحبَ المتانـةِ
مِـن ربـه قد كـان ذا مكانـــةِ
والبحث في همته العليـــةِ
فتلك مـن اشـارة جليـــةِ
قـام بأمر الله فـــرداً أوحـــدا
مضطلعاً مستوفِزاً مجاهـــدا
فأعلن الحـقَّ بعزمٍ وجلـــدْ
وهمـــة باقية إلى الأبـــدْ

* * *

ومن رقى في درجـات الهمـــمِ
يعظم قـدراً في عيون الأمـــمِ
إنَّ اعتبار(١) المرء حسب الهمّـــة
عند الإلــه ثم عند الأمّـــةِ

---

(١) في الأصل « وإعتبار » بهمزة قطع للوزن !

لأنَّ مـن قـد كـبرت همّتـــهُ

عند الأنـــام كثرت قيمتـــهُ

وعِظَمُ الهِمّةِ يدعو للضجـــر

وهـكـذا لقد أتـانـا في الخـــبر

أتعبكم من بعـدت همّتِـــهُ

وأقعست[١] في النفس أمنيتـــهُ

وعـــن مُـنـاه قـصرت آلتـــهُ

وفي المساعي ضعفت قدرتـــهُ

* * *

(١) في الأصل « واتعست » وهو تحريف . والهمة توصف بأنها قعساء

(٥٤)

بحث

في العبرة

إنَّ التهاميَّ عظيمَ الخِبرةِ
مَن نطقه موعظة وعبرةِ
قد جاء في العبرة ما عنه حُفظْ
إن السعيد من بغيره وُعظ[١]
وهاك ما معنى الحديث واعتبرْ
فكّ لشيء أذنيك واختبرْ
فما حببت سمعه فاكتسبن
وماكرهت سمعه فاجتنبن[٢]

* * *

وعن كبار العقلاء من نقل:
في كل شيءٍ عبرةٌ لمن عقل
ومن رأى في غيره من عبرةِ
فليعتبر إن كان أهلَ خبرةِ

(١) أخرجه مسلم بلفظ « السعيد من وعظ بغيره » .

(٢) في الأصل « فاكتسبه » وفي الشطر الثاني « فاجتنبه » وهذان الفعلان يستحقان الجزم، وبه ينكسر البيت.

قيل لبعض الحكماء: يا العجـــب

ممن تعلمتَ قــــوانينَ الأدب؟

فقال : مِن كل عـــديم الأدبِ

تركتُ مايفعل للتـــــأدبِ

ودولـــةُ الجاهل في النهايـــةِ

عـــبرةُ أهـــل العقل والدرايـــةِ

في كل شيءٍ فاعتبر لدى النظر

فالدهر من أسمائه (أبو العِـــبَر)

* * *

(٥٥)
بحث
في الصدق والكذب

إنَّ النبيَّ طاهـرَ الجنَـانِ
وذا البيان صـادقَ اللسـانِ
قد كان أصدق الأنـام لهجـةً
ونطقُه للعالمين حُجّـةً
ومنذ للكون أتى وشـرّفا
بالصدق و(الصادق) كان يُعـرفا
وقال : إن أعظم الذنـوبِ
في المرء مِن لسـانه الكذوبِ
قد سألوا الرسول فيما يعـنى :
هل يسرق المؤمن أو هل يـزنى ؟
قال: نعم ، وما أرى مُحـالا
قالوا : وهل يكِـذْب ؟ قال : لا لا[١]

---

(١) يشير إلى حديث : قيل : يارسول الله هل يزني المؤمن ؟
(قال : قد يكون ذلك .. الحديث أخرجه ابن عبد البر في التمهيد « كشف الخفاء ١٠٨)

وجاء: لا يكـــون في الإمكان

الكذب والإيمان في مكـــانِ[1]

* * *

إن كذبَ الصادق صَحَّ نُطقُـــهُ

وصدق الكاذب خاب صدقـــهُ

الصدق منجيك وأنت خُنتَـــهُ

والكِذْب مُرديك وقد أمِنتـــهُ

* * *

(١) يشير إلى حديث : الكفر مجانب للإيمان . أخرجه ابن عدي، وقال : الداقطني : رفعه بعضهم ووقفه آخرون وهو أصح (كشف الخفاء ١٠٨/١٠)

(٥٦)
بحث
في الصمت

إنَّ النبيَّ خيرَ كلّ قانتِ
أفصحَ ناطقٍ وخيرَ صامتِ
لقد أتى في وصفه البهيّ:
كان كثير الصمت لا من عِيِّ
أعطاهُ ربه جوامعَ الكَلِم
كلامه كمِثل درٍّ منتظِم
جاء : وكان لفظه قليلا
كلامه يرسله ترسيلا
يلفظ لفظا لو يَعُدُّ لفظَهُ
سامعُه لكان أحصى حفظَهُ
وقد أتى معنى حديث الأصدقِ:
إن البلا مُوكَّل بالمنطقِ(١)

(١) أخرجه القضاعي عن حذيفة، وابن السمعاني في تاريخه عن علي (الفتح الكبير ٢ / ٢٠) .

وإن تكن تبغي النجاة فاصمــتِ

جاء: قل الخير وإلا فاســكتِ[١]

* * *

قالوا: احفظ اللســانَ عند العلماءِ

والقلبَ أيضاً في حضور الأوليــاءِ

والصمتُ شرط العقل وهو حقُّـهُ

مَـن تـمّ عقله يقلّ نطقُـــهُ

بكثرة الصمت تكون الهيبــةُ

مَن لازم السكوت غطّى عيبَـهُ

ما لم تقل يمكن أن تقولَـــهُ

ما قلتَ لا يمكن أن تُقيلـــهُ

يلزم للإنسان (قال القُدَمـــا)

لنفسه يلفظ خــيراً دائمـــا

* * *

يوسف قد صار ابتلاءُ حبســهِ

من لفظه ذاك لأجل نفســهِ[٢]

---

(١) يشير إلى حديث « ... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» (أخرجه مسلم، المختصر رقم ٣٢).

(٢) هذا لا يسوغ إلا على تقدير أنه أخبر إخوته بالرؤيا، ولم يثبت ذاك ، بل المعروف استجابته لنصيحة أبيه يعقوب عليه السلام ﴿ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴾ سورة يوسف الآية ٥ .

وقد أتـى: سلامةُ الإنســـانِ
في صمتِه والحـفـظِ للســـان
فهو كما قالوا صغيُر جِرمُــهُ
تبّاً له لكن عظيمٌ جُرمـــهُ
تبّاً إلى الجاهل ما أغفلـــهُ!
ما بين فكيـه تـرى مقتلَـــهُ
"ويلٌ لذا من ذا" مقـــالٌ ثاني
إشـــارةٌ للرأسِ واللســـانِ

* * *

وقيل: عضوٌ إن تركته حـــرَن
أيضاً وإن مرَّنته فقـــد مرَن
لسانيَ السَــبْع فإن أرسلتُهُ
يأكلني لا بُـدَّ إذْ أهملتُـــهُ
ورُبَّ لفظة تجـر حـــــربا
وتســـلب النعمة منك غصبا
فغادر القول بما لايعـــــني
فربّ لفظةٍ تقول دَعْـــــني[١]

(١) اشارة للحكمة التي نصها : « رب كلمة تقول لقائلها : دعني، ورب ثوب يقول للابسه : اخلعني.

(٥٧)

بحث في الغِيبة

إن مَـدارَ الشِـيَم الكريمـة
نهى عن الغيبـة والنميمـةِ
وكـان لايأخذ بالتهمـات
أيضاً ولا يصغي الى الوشـاةِ
وقـد نهى عن أن يبلّغـوهُ
عن بعضهم شـيئاً إذا أتَـوهُ
يحب أن يخرج للأصـحاب
وهو سليمُ الصدر من خِطـابِ (١)

* * *

أربى الربا وأعضلُ الأمـراضِ
إطالة اللسـان في الأعـراضِ
قالوا: ومن أصـغى لقولِ الباطل
فإنه فيه شـريكُ القائلِ

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي . ولفظه : لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر (الفتح الكبير ٣ / ٣٥٢) .

دعِ الوشـــــاة إن تكن نبيها

سَـــــبّكَ من بلغّكَ الكريها

إيــاك والغيبـــةَ والنميمـــة

ففيهما مفســـدة عظيمـــة

إياكم والعِرضَ لاتعـــــدوه[1]

مــن غــربل النـــاس نخلــوه

* * *

(١) في الأصل « إياك والعرض لا تعدوه » .

(٥٨)

بحث في النفاق

إنَّ أبا الطاهـــر[١] ذا الفضيلـةِ
تقدمت أخلاقـه الجميلـــهِ
كان يحب الصِدق ثم الصادقـا[٢]
ويكره النفاق والمنافقـــا
كان سليمَ الصدرِ والخواطـــرِ
مستوياً في باطنٍ وظاهـــر
والأنبياء حرمت عليهـــمُ
خائنةُ الأعين ليســـت فيهمُ[٣]
أن تومي[٤] للأمر المبـــاح الأعينُ
وتُظهر الخلافَ فيه الألســـنُ
كمثل إيماءٍ لضربِ عنـــقِ
ويقصدون غـيرهَ بالنطـــقِ

(١) الطاهر لقب عبد الله ابنه ﷺ يلقب الطيب والطاهر لأنه ولد في الإسلام

(٢) في الأصل « والصداقا » .

(٣) يشير إلى حديث « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين، وجواباً لقول الصحابة ألا أومأت إلينا بعينك ؟ حين كفي عن بيعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ليقوموا بقتله » .

(٤) في الأصل « أن تومِيّ »، سهّلت الهمزة .

حقيقة النِفاق غير خافيـــــة

هي:[1] اختلاف السر والعلانيـــة

تبّاً لذي الوجهين من كريـــــهِ

وليس عند الله بالوجيـــــــهِ

وقالت الأسلافُ أهل الفطنـــةِ

في صاحب النفاق ثم الفتنـــةِ :

بأنـه أقبـحُ شيءٍ عَـمَـــلا

وأنـه أقـصر شيء أجَــــلا

* * *

(١) في الأصل « مع » .

(٥٩)
بحث
في كتمان السر

إنَّ النبيَّ مأمـنَ الأسـرار
مخزنَ سِرِّ الغيب والأنـوارِ
في كتمه السـرَّ على متانـة
كـان لأنـه مـن الأمانـةِ
قد قـال في كتمانـه الأمـينُ :
على أمـوركم بـه اسـتعينوا[١]
وكـل سـر جـاوز الاثنـين
يشـيع في البرَّين[٢] والبحـرينِ
أصـعبُ شـيءٍ للفتى وأكـرهُ
أن يكتمَ السرِّ ويـدري قـدرَهُ

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية والطبراني في المعجم الكبير وابن عدي والعقيلي (الفتح الكبير ١٧٩/١) .

(٢) في الأصل « ويعرف » ومحلها النصب فيختل الوزن .

قال الأُلى : بواطن الأحـــرار
مقــابرٌ لميتــة الأســـرارِ
فالســـرَّ لاتأتِ به علـى فمـك
لقولهم : سـرُّك أيضاً من دمـــك
في كتمـــه غايــة ما هنـاكا
قالـوا : ولا تســـمعْه أُذناكـــا
أقــــول هـذا وأنـــا مزاجـــي
أفشَـــى إلى السِـرّ من الزجاجِ
ينضح طبعي رشــــحةَ الأسرار
ترشّـــحَ الجديـــد من فخّارِ
محبـــةً لي في السَّـــخا والـبِّر
فأشـــتهي الجـودَ ولـو بســـرٍّ

* * *

(٦٠)
بحث
في الوقار

إنَّ الوقورَ صاحـبَ التمكـين
وذا الجَنان الشـامخِ الرزيـنِ
قد كان في وقـاره من العجـب
مجلسـه مجلس حلـمٍ وأدب
يكاد لايظهر من أطـرافـه
شيء كذا قد جاء في أوصافـهِ
قعوده محتبياً والقرفصـا
ما مدّ يوماً رجله ولا اتّكـا
وحوله الأصحابُ في جلوسـهم
كأنما الطيرُ على رؤوسـهم

* * *

وكثرةُ اللحـظ والالتـفاتِ
(قالوا) بأنـها من الآفـاتِ
عليك بالوقار والسـكينةِ
إن المـزاح يـورث الضغينـةِ

واترك فضـولاً ليس فيه بركــة

من لفظة أو لحظة أو حركـــه

وكم فتــىً ذي هيبــةٍ صغيرِ[1]

أعـز مـن ذي خِفـة أمـيرِ

وإن أتــاك مقبــل بـــودٍّ

يومـاً فخُـذْ اقبالـه بصـدّ

لأنَّ ذا الإنســان من عـاداتــه

يبعــد ممن قـد دنـا لذاتــه

قالـوا : ومن يعـرفني صــغيرا

ليس إذاً مـوقّــري كبــيرا

* * *

وعرَّف الوقارَ أهــل الفذلكــه:[2]

الاحترازُ عن فضــول الحركــة

وذاك في الجســـم وفي الألفاظ

حتى وفى ترادف الألحـــاظِ

(١) في الأصل « انا نرى ذا الهمة الحقير » والحقير محلها نصب والقافية مجرورة .

(٢) الفذلكة : كلمة منحوته من « فلذلك الحساب » أي نتيجته وتستخدم للخلاصة . والمراد من أهل الفذلكة من يلخصون معاني المصطلحات .

(٦١)

بحث

في المزاح

إنّ بسيمَ الوجهِ والفلاحِ
عذبَ الكلام صادقَ المِزاحِ
قد كان لايمزح إلا حقا
يُورّي لا يقول إلا صدقا
وجاء في أخلاقه الجميلة
كان به دعابة قليلة[1]

* * *

وقد نهوا عن كثرة المخالطة
للناس والمِزاح والمباسطة
مَن أكثرَ المزاح بالإسراف
لم يَخلُ من حقدٍ ولا استخفافِ

(١) يشير إلى حديث الترمذي في الشمائل (١٤٣ بشرح الباحوري) قالوا : يارسول الله أنك تداعبنا، فقال: نعم غير أني لا أقول إلا حقا ».

قالوا : ومن قـد قـلَّ منه عقـلُهُ

يكثر فيه مزحـــه وهزلُـــهُ

قالوا : بأنه يُجَـرّي السُّـــــفها

ويُذهب الهيبــةَ أيضــاً والبَهـا

❊ ❊ ❊

(٦٢)

بحث

في العهد

إنَّ النبيَّ نخبــــةَ الوجــود

ســنته الــوفـاءُ بالعهـــودِ

وقـال وهو صـادق البيـــان :

رعايــــة العهــد من الإيـمانِ

من ضــاع في أرضهم الذِمـار

مَـردُّهـم عليهـــم الدمـــار

ما نقض العهـد أنـاسٌ أبـــدا

إلا وسـُلّطتْ عليهم العِــدا

فـأوفِ بالعهــد إذا عاهــدتَ

وأنـجزِ الوعـدَ إذا وعــدتَ

* * *

(٦٣)
بحث
في الوعد

إنَّ إمام الصـدق(١) عينَ الجـــودِ
سـنتُه الإنجـاز في الوعـــودِ
وهو - نَعَمْ - أصدقُ كلِّ من وعـد
وفيضُـــه منهـل كـلِّ من ورد
وكـان من ســنته العليـــاء
إنجـازُه الوعـدَ مع الإيفـــاءِ
وطالمـا حـثّ على إتمامـــهِ
"الوعد دين"(٢) قيـل من كلامـــهِ
وقولــــه : أوفـوا إذا وعدتم
ولتصدقـوا الناس إذا حـدثـتـم

* * *

قد مُدح (الذبيحُ) في القـــرآنِ
بالصدق في الوعد عظيمُ الشـــأنِ(٣)

---

(١) في الأصل « مسن الصدق » أي شرع الصدق ، وهو اشتقاق غير صحيح
(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط بلفظ « العبرة دين » (الفتح الكبير ٢ / ٢٤٩)
(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ سورة مريم الآية ٥٤ .

قُدِّم صدق الوعد والفتوة
ذكراً على فضائل النبوّةِ[١]
وقالوا: كل صادق بوعدهِ
مثاله كوَدَقٍ في رعدهِ
الوعدُ والإنجازُ غيم وبَرَد
قال الأُلى «أنجز حرٌّ ما وعد»
الوعد نَفْلٌ والوفاءُ فرضُ
وعند أبناء الكرام قرضُ
ما أقبح الإنسانَ (قال الكُمَّلُ)
بأنه يقول ما لا يفعلُ!
والفعل ما أحسنَه ابتدارا
بغير قول دون أن يمارى[٢]!
وأقبح الطباع خلف الوعدِ
قال الزمخشري : خُلق الوغدِ
قال الحكيم : حبّة بنقدِ
أحب لي من بدْرةٍ بوعدِ

---

(١) في الأصل « بغير قول وبلا ممارا » !
(٢) البدرة : العدة فيهما النقود .

(٦٤)
بحث
في الصلة

إنَّ كريم الأصـل سـيدَ البشر
ومن به تفاخـرتْ بنـو مُضَـر
كان يراعـي صـلة الأرحـام
يخصّـهم بالعـز والإكـرامِ
يَعهدهـم[١] بالبّـر والهدايـا
يمنحهـم بأجـزل العطايـا
ومِـن دعـاء الرحـم المقطـوع
عيـاذها بـالله من قَطـوع
قال : صلوا الأرحـام بالـدوام
حتى ولو بتحفة السـلام[٢]
للأقرباء إن منحـتَ الصدقـة
أجورها تضـاعفـت مُحققـة

(١) في الأصل « ينقدهم ».
(٢) في الأصل « الإسلام ».

قيل : وفي الأعمال للأنام

أسرع أجراً صلةُ الأرحامِ

أيضاً كما أسرعُ بالثواب

فقطعه أسرعُ بالعقابِ

إنَّ العداواتِ لفي الأقاربِ

كامنةٌ كالسُّمّ في العقاربِ

رُبَّ أخٍ لي لم تلدْه أمي

ورُبَّ عمّ كان منه غمّي

* * *

(٦٥)
بحث
في العدل والظلم

إن النبيَّ مَشــرِقَ العدالــةِ
ومَــن أزال ظلمــة الضــلالةِ
العدلُ من صفاته في الحُكْــمِ
ويكره الظلمَ وأهــلَ الظلـــمِ
وحكُمه المنيف عينُ الفضـــلِ
وشرعُه الشريفُ لُبّ العَــدلِ
مخافة للظلـــم وابتلائــه
كذا اســـتعاذَ الله في دعائــهِ
من أنه يَظلـــم أو أن يُظلم
وعن كليهمـــا هو المكرّم[١]
لو جبلٌ ـ جاء ـ بغى على جبــل
لدك بـاغٍ[٢]، انه عز وجـــل

(١) في الأصل « لم » ووجودها يجزم الفعل مع أن تاء « مهلتُه » مرفوعة في دعاء الخروج: اللهم أنى أعوذ بك أن أضِل أو أُضَل، أو أزِل أو أُزَل، أو أَظلم أو أُظلِم أو أجهل أو يجهل علي .

(٢) في الأصل « لدك حتى من بغى عز وجل » والتركيب هكذا غير سليم لذا عدّلته .

يملـي إلى الظـالم تبطي مهلتـه
حتى إذا أمسـكه[1] لايفلتـه

في الأرض لاتسعوا[2] الى الفسـاد
فصاحب الشرطة بالمرصـادِ

قال : أنا الظالم ان لم أنتقـم
من ظـالم مهما يجـده يلتقـم

ومـن أعـان ظالما وفاجـرا
سـلّطه الله عليـه آخـرا

ومن أصـاب المال من مهـاوش
أذهبـه الرحمـن في تهاوش[3]

والحجـر المغصـوب في البناءِ
سوف يكون سـببَ الفناءِ

قيل : ومن بالظلم آذى جـارَه
أورثـه الله تعـالى دارهُ

من سَلَّ سيف البغي حين بأسـه
فإنه يُغمده في رأسـهِ

(١) في دعاء الخروج : اللهم أنى أعوذ بك أن أضِل أو أضَل، أو أزِل أو أُزَل، أو أُظلِم أو أجهل أو يجهل علي

(٢) في الأصل « تسعون » .

(٣) من الأخبار المشتهرة على الإلسنة، ليس حديثاً .

وقال افلاطون في ذي الظُلْمِ :

قد لا يزال[1] مهملاً بالحلـــمِ

حتى تــراه قاصداً بالصنـــع

يوماً الى أركـان حكم الشـرعِ

أو لمـبـانيّ عِـمار الدهـــر

حينئذ أبـاده ذو القهـــرِ

* * *

(١) في الأصل « ولا يزال » .

(٦٦)
بحث
في الكبر والغرور

إن المنيرَ صاحـبَ التواضــع
مشـرقَ نورِ الكبرياء الســاطعِ
ما كان مختــالاً ولا فخــورا
بل كان عبداً خاضعاً شــكورا
وقال ما معنــاهُ فخرُ الأنبيــا
عن ربـه : إن ردائــي الكبريا
فمن بها نازعني مـن خَلقـــيِ
قصمته بقـــــدرتي وحقّيِ
وعن أبي بكـر أتى في حكمتــه:
مَن مسّه العُجب ببعض زينتـــه
أناله القهارُ مقتاً مُقلِقـــــا
حتى يُرى[1] رغماً لها مفـــارقا

---

(١) في الأصل « يكن » .

والمقتُ في الكبر وفي الغـــرورِ
أشـدُّ من فسقٍ ومن فجــــورِ
لا تنظرنَّ في مقامٍ دنيـــــوي
قد نلته أو في مقام أخـــروي
تسقط منه عاجلاً بل انظـــرِ
لمن هــداك للمقام واشـــكرِ
وإن حويتَ عِــزّةً وجاهـــا
فكـن كمـا دعـا النبيُّ الله
في العين من نفسك كُنْ صغيرا
في أعـين العالم كُـنْ كبـيرا
ولا تَـطِش لفتنــة الزمــانِ
ولا تغـــرنَّ بـك الأمــاني
لا تشرب السموم باشـتياقِ
يغررك ما عنــدك من تريـاقِ
وكـان في مُلك سليمان النـبي
يصيح هاتفٌ بصوتٍ معــجبِ:
لو فيه من كِـبرٍ مثالُ خـــردلِ
ما كان ذا الملكُ لهذا الرجــلِ

وقال أفلاطونُ في النصائـــح :

إنِ ازدهى نفسَك مدحُ المــادح

فانظر لما خفي عن الأنـــام

فيك من العيوب والآثـــامِ

وكُنْ بحال النفس منهـــم أدرى

واجتنب الغـــرور واخشَ الكِبْرا

وقـــال: إن جنى فما في الأنفـــة

تنـزه عن العيوب والســـفه

أيضا وعن تواضع للغايـــة

فيه زيـــادة عن الكفايـــةِ

قال: كما الإفــراط في المؤانســة

يستوجب الذلة والمنافســـة

كذلك الإفــراط في المكابـــرة

يستوجب البغضة والمنافـــرة

من لا يرى من كل أمر أزينـــه

وليس يرضى بالذي قد أمكنـــه

والعجب قد أعجبه فاعتــــادهُ

والتيه قد تاه به فاقتــــادهُ

فدعه ساء طبعه نظاما
يضحك يوماً ثم يبكي عاما
وعرفوا الكبر: ركون النفس
فوق محقَّر من ابن الجنسِ

* * *

(٦٧)

بحث في الحسد

إنَّ سليمَ القلب طاهر الجسد
مَن رَبُّه نزَّهه عن الحسد
هو الذي صار عظيمَ الجيش
رغماً على الحُسَّاد من قريشِ
قد عصم اللهُ عظيمُ الكبريا
عن حسدِ النفسِ جميعَ الأنبيا
لاسيما سيدُنا التِهامي
وقد أتانا عنه في الكلامِ:
علامةُ المؤمن لا حقودا
يكون للناس ولا حسودا
كل حسود الطبع لايسود
(نَعَمْ) يسود فوقَه المحسود
فالحسدَ اخرِجْه من الفؤاد
لا تُخْفِهِ كالنار في الزنادِ

مِن وصفه: يَضُرُّ بالحسود

من غير أن يضر بالمحسود

والحقدَ فانزعه من الأحشاء

ولاتكنْ كالناقة الحقداءِ

إنَّ الحسودَ دائماً غضوبُ

على الذي ليس له ذنوبُ

والحسد: التمني للفؤاد

زوال نعمة عن العبادِ

وغبطة المرء : تمني الخير

لنفسه كمثل ما للغيرِ

* * *

(٦٨)
بحث
في التواضع

إنَّ الرفيعَ شـــرفاً وقَــدرا
كان يقـول : لاأحـبُّ الفخـرا
وكــان هو ســـيدَ الأجلّــة
فيه تواضــعٌ بلا مَذلّـــةِ
مكة لـما فتحت ببأســـــه
جـاء لها مطأطئاً لرأســـــهِ
كــادَ يُمس رأسُــــه المنيرُ
قادمةَ الرَّحل وهـو يســـير
تواضعـــاً لربــه الكـــريم
تشـــكّراً لفتحه العظيــمِ(١)
كان إذا قامت له الصحابـــة
ينهاهم عن هـذه المهابـــة

(١) فتح مكة.

لا تفعلــوا فعائـل الأعجــامِ

يعظمون البعض بالقيـــامِ[1]

ويركبُ الحـمار بالتواضـــع

يُردف خلفه من[2] التوابـــعِ

تواضعُ الإنسـان عِزٌّ مختـــفِ

مصايدٌ للجاهِ ثم الشــــرفِ

* * *

(١) القيام المنهي عنه هو : الوقوف على رأس من هو جالس وهو ما كانت عليه ملوك الفرس والروم، وقد ألف النووى رسالة في القيام لأهل الفضل .

(٢) في الأصل « كلا » .

(٦٩)

بحث

في الصديق والصداقة

إنَّ التهاميَّ شـــديدَ النخـوة
قد قال : إن المؤمنـين إخـــوه[١]
كان مراعياً إلى الأصـــحاب
بالودِّ والإكـــرامِ والرحـــابِ
لاسيَّما الصدّيقُ والفـــاروقُ[٢]
وهـــو محـــب لهـما صــــدوقُ
ثم ابنُ عفان وثُـمَّ المرتضـــى
عَليهم من ربنا أزكى الرِضـــا
قيل : وإنَّ كثرة الاخـــوان
معونةُ المـرء على الزمـــانِ
لا تُشترى عـداوةٌ وحيـــدة
بالألف من صداقة أكيـــدة

(١) يشير على حديث « المؤمن أخو المؤمن . . » أخرجه مسلم ٤ / ١٣٩ .

(٢) في الأصل « والفاروقا » مع أن محله الرفع . وكان آخر البيت « صدوقا ».

اختر جديد كل شيء دائما
إلا من الإخوان فابغِ القدما
كل صديقٍ ناصحٍ ألَوفِ
يقال : لا يباع بالأُلوفِ
من عامل الإخوان بالمسامحة
تبقى قلوبهم إليه ناصحة
من ابتغى خِلاًّ بلا معايبِ
يبقى من الدهر بغير صاحبِ
من عاتب الصديق في كل خطا
يكثّر الأعداء من ذاك الجفا
مِن زَلّةٍ لا يُقطعُ الخليلُ
إلا إذا أعجزكَ التعديلُ
في العمر لا تلقى له رفيقا
بالغيظ من لم يتجرَّعْ ريقا
قالوا : وشرط الحزم والصيانة
انك من ترميه بالخيانةِ
لا تركَنَنْ إليه بعد ذلك
فإنه من أعظم المهالك

قالوا: صديقٌ للفتى مُضِـــــرُّ
من جملة الأعـداء بل أشـــــرُّ
أيضاً ومن غشّك في المصاحبَـــة
فبعد ذاك احذره أن تقاربَـــــه
عـدُّو أعدائك من خِـــلاّنكَ
صديقُ أعـدائك من أعــدائكَ

* * *

(٧٠)
بحث
في معاملات الأُلفة

شأنُ(١) رقيقِ الأُلفة المحبوبِ
كان مؤلّفاً الى القلوب
كان به من الصفات الظاهرة
الأُلفة الحسناء في المعاشرة
برحمةٍ منه لدى التكلم
ينطق بالحلم وبالتبسمِ
كان لمن فاوضه مصابرا
حتى لنفسه يكون صادرا
فعاشرِ الناس بُخلق المصطفى
بالود والبشر وحلمٍ ووفا
ولاتفارق أسفلاً أو عاليا
حتى يروح(٢) مادحاً أو راضيا

(١) في الأصل « ان » ويؤدى وجودها إلى نصب المحبوب مع أن القافية في الفجر مكسورة.
(٢) في الأصل « تدعه » .

وإن أردت النفع في المصـــالحِ

فعاملِ الناس بعذرٍ واضـــحِ

يلزم أن ترضى الى ابن جنســكَ

بمثل ماترضى به لنفســـكَ

جاء: ولاخـــير بمـن لا يألفُ

لا يألف الناس وليس يُـؤْلَـفُ

قالوا: بـأنَّ حالة المناســـبة

تؤلّف الأشخاص بالمصاحبـــة

وقالوا: شرط الودّ والمعاشـــرة

تركك للتكليف والمعاســـرة(١)

وقال أفلاطون في المعاشـــرة :

وعاشر الناس على المصابـــرة

فعشرةٌ من صلة متبوعـــــةِ

آثَــرُ عنده من المقطوعـــــة

والاحتمـــالُ مَعَـــه التأني

آثَــرُ عنده من التجــــــنى

(١) في الأصل « والمعاشرة » !

واعلم بأنهم على المكايـــدة
تحملهم بعض الظنون الفاسـدة
لو حسدوا من سوء طبع أو غرض
فاحذرهُم واغفر لمن قد اعتـرض
قالـــوا: ولاتَهَـشَّ للأنـامِ
هشاشـةً للخاص ثم العـــامِّ
أتـوك ثم جعلـوك مرعـى
لابُـدّ أن تضيـق منهم ذرعـا
وبعـدها الفرقـة والمهاجـرة
موجبـةٌ للبغض والمشـاجـرة
بل القَ أعلاهــم لدى المعارضـة
بالود والترحيب والمفاوضـــة
وعامل الأوسـطَ منهم مُطلقـــا
بالصمت والوقار مع حســن اللِقا
وعامل الأسفل بالصـــــدود
مع بَذْلكَ الودّ لدَى المقصــودِ
أيضاً ومن نصائـح اليـــوناني:
احــذر مـن الدنــوّ للأداني

تُعديك أخلاقُهــــمُ اللئيمــة

كــذاك أفعالُهــم الذميمـــة

قد قيل: لاقِ الأصدقاء والعِــــدا

كُلاً بوجهٍ واحـدٍ من الرضــــا

من غــير ذُلٍّ وبــلا مهــابـةِ

والحالة الوســـطى هي الإصابـةِ

تَواقُــر من غــير كِبرٍ مُغــرِ

تواضــعٌ من غــير ذلٍ مُــزرِ

وأصـــغِ للكــلام بالتــأدبِ

من غــير اظهـــارك للتعجبِ[1]

* * *

(١) في الأصل « إلى الكلام » .

(٧١)
بحث
في الناس

إن نبيَّ[١] الكـــون روحَ الحـــقّ

ومَن بهديـــه[٢] حيـــاةُ الخلقِ

خير الورى أسـمى الأنـام سؤددا

قد كان دأبـــه لهم تـــودُّدا[٣]

وجاء في أخبـــار فخر الناس:

كان من الناس علـــى احتراس

يحترسُ الناس ومنهـــم في حذر

من غير أن يطـــوي لهم على ضرر

النّاسُ كالمعادن المنوّعـــــة

من أسرب[٤] وفضة مشـــعشـــعة

(١) في الأصل « مدار » .

(٢) في الأصل « لأجله » .

(٣) في الأصل « قد كان للناس به متوددا » .

(٤) نوع من المعادن .

وبعضهم كالذهب الإكسيرِ
والبعض كالحديد والقصديرِ
ومن ذوي العاهات (قال) فاحذروا
ثم من المجذوم فِرّوا وانفروا
قال أرسطاليسُ اليوناني :
الناس مع كثرتهم نوعانِ:
أراذل طبعهم الخيانة
بالذل ينقادون والإهانة
ومنهم الخيار نوع ثان
يُقاد بالحياء والإحسانِ
وصحبة الناس كمثل النار
خذ نفعها واحذر من الأضرار
الناس أتباع الى من قد غلب
والنشَبُ المرغوبُ فيهم لا النسب
ومنهم[1] مثلُ الغذاء النافعِ،
ومنهم كمثل سُمٍّ ناقعِ

(١) في الأصل « وهم » .

لاتركننّ في الـــــورى الى أحد

ولا الى أخٍ ولا الى ولـــــــد

كم ولدٍ عقَّ أبـاه طاغيـــــا !

وكم أخٍ خان أخـــاه باغيـــا!

* * *

(٧٢)
بحث
في المَشُورة

إن المشـــيرَ صاحبَ الإصابــةِ
مَن اقتـــدتْ برأيـه الصحابــةِ
قد كان من خصالــه المبرورةِ(١)
في أكثر الأمـــر هو المَشْـــورةِ
وقـــد أتى في ســـنة الرسولِ
أن: اســتشيروا من ذوي العقـولِ
ونَقّحوا العقولَ بالمشـــــاورة
وأوضِحوا العقول بالمذاكـــــرة
وطالما اســتخار واســتشـــاراً
مذكـــراً أصـحابـه اختبـــارا
وقال في الشُــوراءِ(٢) أصحابُ الأدب:
إليك راحـــةٌ وللغـــير تعــبْ

(١) في الأصل « المنورة » على آن آخر البيت (المَشْورة) والصواب (المشُورة) لذا غير (المنورة) إلى المبرورة) .
(٢) أي الشورى . وهو مدّ للكلمة المقصودة لضرورة الشعر .

إذا استشرت عاقلاً في فعلكَ

يُضَمَّ[١] نصفُ عقله لعقلك

شاورهُم في الشر أو في خيرِكَ

واجعل إلى نفسك عقل غيرِكَ

واستفت في الأمور (قالوا) صحبَكَ

وبعده فاستفت (قالوا) قلبَكَ

واستشر الأعداء بالتغابي

رأي العدو مناقضُ الصواب[٢]

إذا استخار رجل مولاه

وبعدها استشار مَن والاه

واجتهدَ الرأيَ فقد أتمَّ ما

عليه والباقي على رب السَّما

* * *

(١) في الأصل « يصير » .

(٢) أي استشر عدوك متغافلا عن عداوته ثم اعمل بعكس ما يقول، لأن عداوته تحمله على اختيار ما يناقض الأصلح لك.

(٧٣)

بحث

في النصيحة

إنَّ رؤوفَ الطبــع والفـؤادِ
نبيَّنــا الناصــحَ للعبــادِ
قد كـان من ســنته النصيحــة
للهِ، للخلقِ علــى الصحيحــة
جاهدَ حـقَّ الجهــد في الدلالــةِ
بالنصح والتبليــغ للرســالـةِ
ويُنـذُر الناسَ وأهــلَ بيتـــهِ
يدعوهــم (كـان) بأعلى صوتـهِ
يعظهــم[١] بالحرص وعظ المنــذِرِ
كأنه يُنذرهم من عســـــكرِ[٢]
أرحمُ من آبائهم عليهــــمُ
أرأفُ مـن أنفســهم إليهــمُ

---

(١) في الأصل « يوعظهم » .

(٢) يشير إلى حديث « كأنه حديث منذر جيش » في وصف الوعظ النبوي عند التخويف والترهيب .

اعمــلْ لدنيــاكَ من المســاعي
بقــدَر المُكْــثِ بــها يا واعــي
اعمــلْ لأُخــرَاك من الكرامــةِ
أيضــاً بها بقــدَر الإقامــةِ
واعمل من العصيان في ذي الــدارِ
بمثل ما تُطيــق حــرَّ النــارِ
وكلما أردتَ تعصــي فانتبــهْ
وابغِ مكــاناً لا يــراك الله بــه
وعمــدةُ الإيــمان والحقيقــة
النصــحُ للهِ وللخليقــةِ
مَن لونُه اصــفرَّ من النصيحــة
اســودّ وجهــه من الفضيــحةِ
إذا استشــارك العدو في زمَــن
فانصحــه إنَّ المستشــارَ مؤتــمن
يؤدَّبُ الجاهــلُ بالفضيحــةِ
أحســنَ من ألفٍ مــن النصيحْــةِ
وعن عليٍّ قــد ســمعنا سَــنَدَا
يُعــزى له: لا تتعمــم قاعــدا

لا تقطعنْ قطيعــة من الغنـــم (١)

والبس سـراويلك لاعلى القــدم (٢)

كــذاك وطءُ بِريــة الأقـلامِ

نكــاهــا جالبــة الآلامِ

وجاء من قبيـــل ذى المعــدود

لاتكتــبنْ بالقلــم المعقــودِ

ومشــطك المكسور لاتســتعملِ

والمشــي مابين القبــور أهمِلِ (٣)

قالوا: ثلاثة ســريعة العطـــب

دنيا،وفي المحشر تفضـــى للغضب:

الكبرُ، مع كسر قلــوب الخلــق،

وســوءُ آدابٍ لأهــل الحـق

ثلاثــــة ليس لها أمـــانُ:

البحر ، والزمان ، والســـلطانُ

---

(١) أي لا تعترض في مشيك قطيع غنم يمّر

(٢) أي البسه قاعداً وليس واقفاً على قدميك .

(٣) في الأصل « تستعمله » وبآخر البيت « أهمله » .

هذا وما بعده في الأبيات الأربعة التالية مما نقله المؤلف هو من الخرافات التي وردت في بعض الأخبار الموضوعة ولا تزال ترددها بعض البيئات البعيدة عن العلم .

والعجب من الناظم – رحمه لله – أنه أورده في باب النصيحة!

ثلاثة أجـــودهـــا العتيـــقُ:

التبر ، والحمّـــام ، والصـــديقُ

ثلاثة في حفظهـــا أمـــانُ:

الفرج ، ثم الفم ، واللســـــانُ

ثلاثـــة ليس لهـــا وفـــاءُ:

الدهر ، والصحة ، والنســـاءُ

ثلاثـــة ليس لها اشـــتراك:

المشـــط ، والخِـــلال ، والمسواكُ

ثلاثـــة قليلهـــا كثـــير:

دَين ، ونـــار، مرض[1] خطـــيرُ

* * *

(١) في الأصل « ثم مرض » .

(٧٤)
بحث
في الأمانة والخيانة

إنَّ الأمين صاحبَ الأمانة
قد طالما نهَى عن الخيانةِ
منذ نشأَ يُعرف بالديانةِ
والصدق والوفاءِ والأمانةِ
واسمه محمدُ الأمينُ
بالحق وهو قائم متينُ
وللخَؤون قد كفى ما أسندا:
«من غشنا فليس منّا»(١) أبدا
من ائتمنك أدّهِ الأمانة
ولا تخن من جاء بالخيانة
كل أمين آمناً يكونُ
وخائفاً يكون من يخونُ

(١) أخرجه ابن ماجه، وأخرجه الترمذي بلفظ «من غشنا فليس منا» (الفتح الكبير ٣/ ٢١٤).

إنَّ الغنى تجلبـــه الأمانـــةُ
والفقرُ قد تجلبه الخيانـــــةُ
وكــن أميناً كي تنال عـــــزا
لا تَــكُ خائناً تَهُــنْ وتَخـــــزَ
واسـلك طريقَ الخير والأمانـــةِ
واجهل ســـبيل الغدر والخيانـةِ
وانــوِ لكــــل العالمين خـــيرا
وكن كمثـــل الصـــالحين بَرّا
وهــذه الأمانـــة المنصوصـــة
في المال لا تـــخالها مخصوصـــة
بل إنها لذي العهــــود والوفا
والصـدق والإخـــلاص وجهاً وقفا

* * *

(٧٥)
بحث
في الاستقامة

إنَّ المتين صــاحبَ الكرامــةِ

ذو العِزِّ والحــزمِ والاســتقامةِ

ســورة هود(قال) : شــيبتني[١]

أي﴿ فاستقمْ كما أُمِــرتَ ﴾[٢] يعني

وجـاء عن عائشــة المفضــلة:

وأيُّكــم كان يُطيــق عمــلَه

أعمــالهُ دائــرةُ التــــوالى

على مــدى الأيـام والليــالي

أحب الأعمــــال إلى الرحمنِ

أدومُها على مــدَى الزمــان[٣]

قالوا: حريٌّ كلُّ ذي اســـتقامةِ

بأن ينالَ رتبـةَ الكرامــــةِ

---

(١) شيبتني هود وأخواتها » أخرجه الطبراني في الكبير وبلفظ آخر منه سرد أخواتها : الواقعة والقارعة

(٢) سورة هود / ١١٢ .

(٣) يشير إلى حديث « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» أخرجه البخاري ومسلم (كشف الخفاء ٥٢ والفتح الكبير ١ / ٤٦) .

(٧٦)
بحث
في الدنيا

إنَّ الرسولَ سـيدَ الكوَنيْنِ
صـاحبَ تـاجِ العز في الدارَيْنِ
قـد كان لاتَهمّـه دنيـانا
ولايبـالى كـان أو ماكانـا
دنياكم(جاء)كخضـراءالدِمَـن(١)
تبّاً لهـا دارُ البـلاء والمحـن
فكن بذي الدنيا على الرحيـلِ
وكالغريب، عابرِ السـبيلِ(٢)
لن تخدعي إلا عديم الفِطَـن
ياجنةَ الكافـر، سـجنَ المؤمنِ(٣)
تبّاً لها حلالُها حِسـابُ
وإنـما حـرامُهـا عـذابُ

(١) في الحديث « الدنيا حلوة خضرة » ولم أجده بلفظ خضراء الدمن إلا في حديث إياكم وخضراء الدمن».
(٢) يشير على حديث « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » أخرجه البخاري .
(١) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » صحيح مسلم بشرح النووي ١٠ / ٥٠٠» .

لا تَكُ مما نلـــت منـــها فَرحـا

ولا لما فـاتك منـها ترِحـــــا

مدتها تشـــبه عنـــد القـــوم

كلمحة أو ســـِنَةٍ من نـــومِ

من ترك الدنيـــا فذاك العاقـــلُ

بقولهم، وما ســـواه الجاهـــلُ

نعيمها وبؤســـها يـــزول

لله در عـــارفٍ يقـــولُ :

هل هي إلا ساعةٌ وتنقضــــي

لا يغلبُ الأيـامَ إلا مـن رَضِـــي

ولو تســـاوى عند من سوّاها

جنح بعوضـــةٍ لِمَنْ جفـاها

ما أطعم الكافرَ منـــها حبـــة

كلا ولا سقاه منها شَـــربة[1]

انظر إليها نظـــر المفـــارقِ

لا نظرَ العاشـــق والموافـــقِ

(١) يشير إلى حديث « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » أخرجه الترمذي .

قالوا: نرى واجدها سكرانا
كما نرى فاقدها حيرانا
إقبالُها سحابةٌ في صيفِ
خطورُ سيف أو مرور ضيفِ(١)
ومن ذوي الزهد فتى معنَّى
قد وصف الدنيا بهذا المعنى
هل هذه إلا كنيفٌ يُملا
ليلاً نهاراً ثم قِدر يُغلى
كامرأة يوماً الى العطارِ
تأتى، ويوماً تأتي للبَيطار
وشبِهها في سرعة الزوال
(قالوا) كظل الشمس في المثالِ

* * *

قلت : وفي التأخير والتقدُّمِ
فإنها تُشبه(٢) ظِل الآدمي

---

(١) في الأصل « صيف » .

(٢) في الأصل « في الشبه » .

تهرب ممن قد أتاهـــا قاصـدا

تلحق من أعرض عنها زاهـــدا(١)

قلت : وما لها صفاتٌ فاخـــرة

إلا انّهـا مزرعـــةٌ للآخـــرة

* * *

(١) في هذا الوصف قال أحدهم :

كل من ادركت يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

ويمكن أن يجاب عليه بما يلي :

هذه الدنيا لمن يتركها فاتق الله، ودع شكوى الزمن

(٧٧)
بحث
في الدولـة

إنَّ النبيَّ ذا المقام الأسـنى
وصاحب المُلك الذي لا يفـنَى
حـثَّ على الـرحمـةِ للرعيـةِ
وفي العموم هـذه كليـةِ
الكل يغدو راعياً[١] في خدمـه
ويُسأل الراعي غدا عن غنمـه
قالوا إذا تغير السـلطانُ
تغـير العـالَم والزمـان
لولا الملوكُ يحرسـون الأرضا
يأكل بعضُ الناس كان بعضا
جمشيد قد أوصى الى بهـرام:
بين الملوك ليس من أرحـام

(١) في الأصل « الكل منكم راعياً » بنصب راعيا دون ناصب .

الملك في الدنيا عقيم الرحـــمِ

من زمن السفاح للمعتصـــمِ

قالوا: وإن ملكتَ فالسياســة

فإنها الأســاس في الرئاســةِ

قالوا : تســـتُّرٌ عن الأهالي

أهْيبُ من سـفكِ الدما للوالـي

على الأمــور أجســـر الطبـاع

أكثرهم[١] رؤيا الى الســـباع

قالوا وأســباب زوال الدولِ

جميعها من اصطناع السُـــفُلِ

والملك لايـزول بالضـــلالــة

زوالــه من عـــدم العــدالةِ

قال الزمخشـــري : الوَزارة[٢]

نفس بـلاها الله بالـــوِزارة

وقالوا : كل من وَزَرَ مُؤســـىَ

بــوِزره إلا وزيـرَ موســـى

(١) في الأصل « لكسرهم » .

(٢) يقصد مهنة فيها الوزر(المسئولية) .

قال: مثال خدمة السلطان

كخلوة الحمّام بالنيرانِ

داخلُها قد يشتهي الخروجا

ويشتهي خارجُها الولوجا

قالوا: ومَن غفلتُه قد طالتْ

تضعضعت دولته وزالتْ

ياطالباً لراحةٍ ودولَة

قد نصح الحكيم فاسمع قولَه :

"الجاهُ والراحةُ كالضدِّينِ

فاختر لنفسٍ[1] أحد الحالَينِ

وغادرِ الدولة والحكومة

إن شئت راحة بلا خصومة

وإن أردت دولةً وتَيها

فغادر الراحة واقنع فيها

* * *

(١) في الأصل « إلى النفس ».

(٧٨)
بحث
في الإِقبال والأدبار

إنَّ رسـول الله مكشـوفَ الكرب
ومن مع الاكـدار مرفـوعُ الرتب[١]
قد كان راضـياً لدَى الضـرّاءِ
وشـاكراً لله في السَـرّاءِ
يفرح للشـدة في وقت البَـلا
لأنهـا بِشـارة الى الرَخَـا
والعسـر لو في جوف جُحْـرٍ ولجا
لبادر اليسـر إليه مُخـرِجا
تعرفـوا لله في الرخـاءِ
يعرفْكـمُ في شـدة البلواءِ
العُسر قد أتى[٢] مع اليُسـرَيْنِ
فواحـدٌ لن يغلـب الاثنـينِ

(١) في الأصل « . . . كاشف الكرب ودافع الاكدار رافع الرتب ».
(٢) في الأصل « يأتي » وهو يشير إلى قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ سورة الشرح الآية ٥ ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ سورة الشرح الآية ٦ .

إذا أراد الله جلت قدرتـــــه
عن عبده بأن تزول نعمتـــــه
يأتي الـزوال أولاً لعقلـــــهِ
يرى الجميـل في قبيـــح فعلـهِ
من بعدماينفـــذ حكُم ربــهِ
فيعلم العبد جـــزاءَ كســـبهِ
رَدَّ إليه العقـــل ثاني مـــرةِ
معتبراً بعد خـراب البصـــرةِ
ودولـةٌ إن أقبـلتْ بالقـــوةِ
فالعقلُ يســتخدم فيها الشـهوةِ
وإن يكن إقبـــالها قـــد ولى
تســتخدم الشــهوة فيها العقلا

* * *

ثلاثةٌ إدبـــــارها معتـــادُ:
كِـبْرٌ، وإهــمال، واســـتبدادُ
والعكس للإقبـال فيــه بركـة:
تواضعٌ، مَشُـــورةٌ، مـع حركـة

الدهرُ في إلادبـارِ والإقبـــال
لايســــتقرُّ أمـره بـــحالِ
فهـــو أســـلوبٌ تارةً لما وهـبْ
وهو وَهـــوبٌ تـــارةً لما طُلبْ
ذو العقل لايســـتقبل الكرامـة
ببطَــــــرٍ كجاهـلٍ مقامَـه
إن أقبـــلتْ فلا قيـــامَ ببطَر
أو أدبـرتْ فـلا وداعَ بفجــــر

* * *

قالـــوا بأن مُـدْبِر العُقّـــالِ
أرجى من الجاهل في الإقبــــالِ
ذو العقل لاتُبطـــره الأفــراحُ
كالصخر لا تهزه الريــــــاحُ
وتبطر الســـــخيفَ أدنى منزلة
كما تميل من نســـيم ســـنبلة
من نال أقصى كل ما قد سَــــرَّهُ(١)
فلينتظر غاية ما قـد يكـــرهُ

(١) في الأصل « يسره » .

لأنهم قالــوا: وليس فرحــةٌ
إلا وخلفها ســتأتى ترحــةٌ
جاء عن افلاطون هذه الموعظــة
موعظة ويالها من مُوقظـــة
قال: ومن سار لدى الإقبــال
على نظام العقل باعتـــدالِ
وفي الحقوق ثم والحـــدود
مراعياً للخلق والمعبـــودِ
وليس يعدو هذه المحافظـــة
ولابــذرّةٍ لدى الملاحظـــةْ
في مثله قد جرت العـــاداتُ
يَسلم لا تَطرقه الآفـــات
وكـان في إقبــاله مؤيَّــدا
وباطنــاً وظاهــراً مؤبَّــدا
ومن رماه الجهـل في التغليــط
وســاد في الافـراط والتفـريطِ
ولم يكن للاعتـــدال مالكــا
أو كان عن قصـــد إليه تاركـا

أسرع مايكون هذا ساقطا

عن جاهه وللحضيض هابطا

لأن حد الاعتدال لازمُ

بين مزاج الكائنات قاسمُ

* * *

(٧٩)
بحث في المكافأة

إنَّ عفـــوَّ النفس والإنصـافِ
كـان على الزَلَّـةِ لايكـــافي
ففي المكافأة خصالُ المصطفـــى
كانت ملاقاةَ الجفاء بالوفـــا
يقابلُ الســـيئَ بالجميـلِ
ولايجـازي (كـان) بالمثيـــلِ
قال: كمـــا تَـدين أن[1] تُدانـــا
إن شئت احساناً فدِنْ احســـانا
ولاتـعـيرِّ بالبـــــلا أخاكـــا
فالله يبليـكَ ويُنجـــي ذاكـــا
لو عَيرَّ الحُبـــلاءَ حتى رجـــلُ
أخـاف أنـه بيـــــومٍ يُحبـــلُ!
قد قال ربٌّ ما لـــه من ثـــانِ:
ان الذي يعمـل من عصيـــانى

(١) في الأصل « قد » فيكون الفعل بعدها مرفوعاً مع أن أخر البيت منصوب .

سلطتُّ من في الخلق لا يعرفني
عليه فليتّقِ من يعرفني[1]
إنَّ الذي يفعل كلَّ مايشا
فسوف يلقى في غد ما لم يشا
من ضَرّ ضُرّ، ثم من يظَلم ظُلم[2]
من بَرّ بُرّ، ثم من يخدمْ خُدم
وكل فاعل له ما يَفعلُ
والله قد يمهلنا لا يهملُ
إنَّ المكافاةَ على الصنائع
واجبةُ الظهور في الطبائعِ
يجزي بها سيئة أو حسنة
لو أنها من بعد عشرين سنة
وأصعب الجزاء في الشآمة
هو الذي أُخِّر للقيامة
وربما قد تَضْرَس الأبناءُ
من حِصرمٍ تأكلهُ الآباءُ

(١) إشارة إلى حديث قدسي .
(٢) في الأصل « من ظَلم قل ظُلم » .

من ينفـــعِ الناس يجدْ من ينفعُه
من يلدغِ الناس يجدْ من يلســعُه

اليوم زرعٌ وغـداً للَحَصَــــدة
الخير خير، والفساد مفســـدة

يداكَ أو كتا وفوكَ قد نفـــخ[1]
وسعيكَ الجاني وثَمَّ المصطـــرخ

ولا تكن للناس بالمكــــافي
فإنما الدهرُ مكـافٍ كـــافي

* * *

(١) يشير إلى المثل العربي مورده أن شخصاً نفخ قربة وربطها – دون إتقان – ليعبر عليها نهراً .

(٨٠)
بحث
في الغنى

إنَّ الذي أعرض عن دار الفَنا
تنزهاً وما ابتغى فيها الغِنَى
قد استعاذ من شتات الأمرِ
من بَطَر الغنى وذُلِّ الفقرِ
وليس بعد الدِّين خيرٌ من غنى
وليس بعد الكفر شرٌّ من عَنا
انظر الى ذي[١] الثروة اللئيمِ
أعّز من ذي قِلّة كريمِ
لأَنْ يموت المرء في حال الغنى
والمال يبقى بعده الى العِدا
خيرٌ من الحاجة في بلائهِ
وفي حياته لأصدقائهِ

(١) في الأصل « انا نرى ذا » .

(٨١)

بحث في الفقر

إنَّ التهاميَّ عظيمَ القدرِ
مِن ربه اختار شعارَ الفقر
وعنه قد جاء بلا اشتباهِ:
«الفقراءُ هم عيال اللهِ»
«الفقر فخري» جاء في معناه
هذا لمن يصبرُ في بلواهُ
وجاء: «كاد أن يكون كفرا»[١]
فكلما افتقرت فازدد شكرا
وهي سواد الوجه في الدارينِ
سواده الأصغر ذل الدَّينِ
والفقر في الإسراف ثم الطيش،
وإنما التدبير نصف العيشِ
الفقرُ مجمع إلى العيوبِ
كنز البلا والذل والكروبِ

(١) يشير إلى حديث « كاد الفقر أن يكون كفرا » أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/٥٣ و ١٠٩ .

قالوا: ومن أفلس قّلّت غيرتُـه
ورقّ دينُه وساءت سيرتهُ
«لا فقر للعاقل»[1] قال المرتضى
اشارة للاقتصاد والرضا
وبعضهم إذا أتته نعمتُه
يقول: ذنب عُجِّلتْ عقوبتُه
وإن أتاه الفقر أضحى فَرِحا
يقول: أهلاً بشِعار الصُلحا
إن شئت أن تتبع النَبِيّا
فمت فقيراً، لا تَمُتْ غنيا[2]

* * *

(١) يشبهه حديث « لا فقر اشد من الجهل » أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢ / ٣٦ .
(٢) ليس هذا مما يملكه الإنسان ! ثم ان الغني الشاكر المؤدى لحقوق المال يفضل – بما يتصدق – الفقير حتى لو كان صابراً، كما في حدث : ذهب أهل الدثور بالأجور .

(٨٢)
بحث
في الدَّين

إنَّ صـدوقَ المنطق الوثيـقِ
سِـيمتُه الوفـاء بالحقـوقِ
وصـحَّ عنه الدَّين حين الفقـدِ
وبالنسـيئة اشـترى والنقدِ
مات وكانت درعـه رهينـا
عنـد يهـوديٍ، كـذا رُوِّينـا
هذا وقـد كـاد تراب الغَبرا
يصير تحت قدميـه تِبرا
كان يقول ذو الخصـال الفاخرة:
لا عيش إلا عيش دار الآخـرة[١]
لا هـمَّ في الدنيا كهـمّ الدَّيـن
وليس مثـل وجـع العينينِ
الدَّين في جِيـد الرجـال غُلُّ
في الليلِ هَـمٌّ والنهـار ذلُّ

(١) في الأصل « انا نرى ذا » .

لـو أنـه في عنـق الضرغـامِ

كـان أذلَّـه إلى الأنـامِ

إن كان اسـم الدَّين قرضاً حسنا

وفـاؤه يكون منه أحسـناً

صـبرك للنفس ولا صـبر الورى

عليك إن مسَّـكَ جوع أو عـرا[1]

حـذّر أفلاطـونُ أهل الفِطـنِ

عنه بـذا المعنى وقـد أعجبني:

الدَّين يسـتحليه كل جاهـلْ

كلُّ كذوب الطبـع والمماطـلْ

ولا يميـل أحـدٌ إليـهِ

إلا وهانتْ نفسُـه عليـهِ

وضُـرُّه في أكثر الأوقـات

أشـدُّ منه سـاعةَ الحاجاتِ

فيا أخي لا تسـتدِنْ بضاعـة

لو أمهلوك لقيام الساعـة

(١) إما أن يكون بمعنى طرأ عليك جوع . أو من العراء بمعني الفضاء لا ستر فيه ، وحينئذ فالصواب (عُرْي) كما في الصحاح .

(٨٣)
بحث في النعمة

إنَّ وليّ نعمة الإسلامِ
مبتعث الرحمة[1] للأنامِ
قد صح من خصاله المهمّة
كان معظّماً لقدر النعمةِ
حتى ولو في نعمة صغيرة
يشكرها كالنعمة الكبيرةِ
ووصفوا النعمةَ بالشَرودِ،
وقيدُها بالشكر للمعبودِ
معنى الحديث: من يكن في قومه
أصبح واجداً لقوت يومهِ
وآمناً لا خائفاً في سِربه
فإنه في نعمةٍ من ربه[2]

* * *

(١) في الأصل «وباعث».

(٢) نص الحديث «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه.

وَنِعَمُ الدنيا ثلاثٌ كافيـــــة:

الأمن، والغناء[1]، ثم العافيـــة

حوائج الناس إليك نعمـــةٌ

فلا تَمَلَّها تَجدها نقمـــةٌ

جاءَ لعيسى الوحيُ في مهمـــّة

قال : إذا جاءتك مّني نعمـــة

تلقَّها بذلـــة ومســكنـة

حتى أُتمّـهـا عليـه مُتقَنـــة

فُتُوّةُ الإنسانِ: تـرْك المنّـــةِ،

إظهارهُ النعمةَ، كتم المحنـــةِ

* * *

(١) أي الغنى ضد الفقر . وهو من مدّ المقصور لضرورة الشعر .

(٨٤)

بحث

في المـــال

إنَّ الـــذي خـــزائنُ اللطيـفِ
مفتاحُها في كَفِّـــه الشـــريفِ

لقد أتت له الجبالُ ذهبـــــا
عن نفســـــه وراودتـــه فـــأبى

ما جمع المال فكان تاجـــــرا
بل كان عبداً قانعاً وشـــــاكرا

مـــالُكَ لا يعـــمّ كلَّ العـــالمِ
فاخصصـــه للأقـــرب ثم الأَلزمِ

من قلّ ماله فقد قـــلّ الحيـــا
منه وضاقت فيـــه الأرض والسما

حســـبكَ من وصائف النقـــودِ
بأنها حـــلاّلة العقـــــودِ

واعلم بأن لصقـــة الدراهـــمِ
الى جروح الدهـــر كالمراهـــمِ

لا خــير فيمن لا يداوي ذهبَــه

حتى يصــون دينه وحســبَه

في الفقــر والغــنَى إليــه دارِ

ولو أتـاك مثلَ نهــرٍ جــارِ

قال الحريــريُّ، وجلّت خــبرته

لولا التوقّي قلتُ: جّلت قدرتــه:

* * *

المــالُ كالجُنّـــة في الزمـــانِ

يُحمَى به العرضُ عن العــــدوانِ

إن الحبيــب للورى ذا المــالِ

يُبغَضُ إن صـــــار فقيرَ الحالِ[1]

للمال (قالوا) مدخلٌ عســـيرُ

(نعم) إليه مخرج يســــيرُ

كمثل حَمــلِ حجرٍ كبــــيرِ

لفوق رأس الجبل العســــيرِ

وصرفُــه كمثل ما تلقيـــــه

مدحرَجاً للأرض من عاليــــهِ

(١) في الأصل « لكن يبغضه فقير الحال » .

(٨٥)
بحث
في الهدية

إنَّ السخيَّ ذا اليد الندية
من جاءه جبريل بالهديةِ
قد صح في سنته المحققةُ
يردّ ما كان أتى من صدقة
لكنه كان على السويّه
يقبل ماكان له هديه[١]
وفي الهدايا السنة المباركة
بين الأحبّا جُعلت مشاركة[٢]
إن الهدايا تجلب الغضبانا
وانها تستعطف السُّلطانا
إنَّ الهدايا في الورى كريمة
تُذهب ما في القلب من سخيمة
وللهدايا في القلوب موقعُ
تقديمُها لدى الرجاء ينفعُ

(١) يشير إلى حديث « كان يقبل الهدية ويثيب عليها » أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي .
(٢) في الأصل « أن تكن » والمقصود بالمشاركة : أن من أهدي إليه شيء وعنده أصحاب يُشركهم فيها .

(٨٦)
بحث
في الخدم والمنزل

إنَّ التهاميَّ حليمَ الرُحَما
من كان جبريلُ إليه خادما
عن أنس الخادم عند الحضرةِ
قال: خدمته سنين عشرةِ[١]
ما قال في شيء: لِمَ فعلتَهُ
يوماً، ولا قال لِمَ تركتَهُ[٢]
يقول: لو قُدِّر هذا كانا
وما رآه أحدٌ غضبانا
وارأفْ بمن صرتَ عليه[٣] سيدا
حتى ولو كان غلاماً أسودا
أطعِمْهُم الألذَّ من نفيسِ
واكسُهُم من أحسن الملبوسِ

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي العالية ان أنساً خدمه ﷺ عشر سنين ودعا له ، شرح الزرقاني على المواهب – للقطلاني ٣/٢٩٦ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) في الأصل « إليه » .

مِنْ كرمِ الإنســـان في طباعــهِ

الخُلُقُ السـيئُ في أتباعِــه

بأن ترى خُدّامَـــه بلا أدب

من كــرمِ الخلق وكظــمٍ للغضب

قالوا: يخونُ العبــد مـولاه إذا

ما مســه منه قنــوط وأذَى

نعــم إذا ما يئس الإنســـانُ

يطول منه اليــدُ واللســانُ

وكلَّ خادم فضعْه في عمـــل

عليه آخذْه[1] به عنـــد الخلـل

لأنـه تفســد حـالُ راحتـك

إذا تواكلـوا إذاً في خدمتـــك

قالوا: وأدبُ الفـــتى وشـرُّهُ

حين يكون نفعُـــه وضَــرُّهُ

حيث يميـــل قلبه للخـادمِ

لا مقتضــى الشـرع ورأيِ الحازمِ

---

(١) في الأصل « حتى تؤاخذه » .

وإن شَرَ كلبـا أتـاك لاحقـا
يَـدَعُ صاحبـاً إليـه سـابقا
فاطــرِدْه، إنّ ذاك لا يــدوم لك
أيضاً كما فارق قبـلاً سـلفك

* * *

قالوا: ولا تسـمحْ بفـوقِ اللازمِ
لولدٍ، وامــرأةٍ، وخــادمِ
فإنما طاعتهـم اليــكا
مقرونـةٍ بحاجــة لديكـا
إيـاك والعبيـدَ لاتُشــبعْهم
وفيك بالإحســان لا تُطمعْهـم
ابنك إن منعتــه يبغضـكا
كلبُك إن سمّنته يعضـــكا
جندك إن أغنيتـه لا ينفعــك
كلبك إن أشــبعته لا يتبعـك
ومن ترى في فعله صـــداقة
لا تكرمنّـه بكـــل الطاقـة

أخِّر له شيئا بحسْب العادةِ
يعطَى له إذا اقتضى الزيادةِ
وقولهم في شرط علم المنزل:
أن لا يزيد الخَرْج فوق المُدخَل[1]
كل فتى في بيته سلطان
ومنزل المرء له جِنانُ
من أشرك الغير تأذَّى خاطره
وبيت الاثنين خراب آخره

* * *

ومن كلام الصاحب المكمَّل
ترجمت ذا المعنى لعلم المنزِل:
علامةُ العاقلِ في معروفه
مدخوُله أكثر من مصروفهِ
من يختصر منزله كالنحلِ
معتدلا في الخصب ثم المَحْل
تصفو له حلاوة المعيشةِ
يستخِرج الشهد من الحشيشةِ

(١) أي الدخل . والخرج هو المصروف .

وقال افلاطـــون في الملامــــةِ:

لا تختر الصــديقَ للخِدامــــةِ

إذ ليس فيـــه خِيفة من هَيبتـــك

فيجترى على الخطأ في خدمتـــك

وأنت قد تخجــــــل[1] من تأديبهِ

فيفســـد المعاش من تخريبـــهِ

* * *

(١) في الأصل « تستحي ».

(٨٧)

بحث

في اللباس

إنَّ جميلَ حِليةِ البَهاءِ
وصاحبَ الإزارِ والرداءِ
في السُّنة العلياء معنى ما ورد
بأنه يلبس ما كان وجد[١]
قطناً وصوفاً وكذا كتَّانا
والغالب القطن كذا أتانا
منه القميص والإزار والرَّدا
يلبسُ ثوباً أبيضاً وأسودا
يلبسُ (كان) بردةً خضراءَ
حيناً، وحيناً[٢] حُلّةً حمراءَ
يخص كل أخضر بُحّبِّ
ثيابُه كانت لفوق الكعبِ

(١) فصَّلَ القسطلاني والزرقاني صفة لباسه ﷺ بعد ان أورد « كان يلبس ما وجده » (٥/٣).
(٢) في الأصل: « بعضاً وبعضاً ».

يبـــدأ باليمين وقـتَ اللبّسِ
لثوبِـــه، ونزعُـــه بالعكسِ
ويلبس العمامةَ الســـوداءَ
لكنها في الأكثـــرِ البيضـاءَ
يجعل غالباً إليها عَذَبـــةِ
تقدست أخـلاقـه المهذبـــة
ويلبسُ الأحسن من ثيابـــهِ
(كـان) إذا الوفد أتى ببابـــه
ويأمر الصَّـحبَ بلبس الزَينِ
كذاك في الجمعـــةِ والعيدينِ[1]
مَن نَظّفَ الثوبَ يـزولُ همُّـهُ
أو طاب رِيُحه يزيد فهمُـــهُ
قيل: وكُـلْ ما تشتهيه نفسُـكَ
والبس إذاً ما يشتهيه جنسُـــكُ
قالـــوا: بـأنَّ الناسَ باللباسِ
فحسِّـن الثوبَ لأجــلِ الناسِ
والبس لباســاً لســت فيه تُحتقَر
بين الورى ولســـتَ فيهُ تشتَهر[2]

---

(١) أشار على ذلك القسطلاني والزرقاني عند الكلام عن لباسه صلى الله عليه وسلم (٥ / ١٨).

(٢) في القاموس : اشتهره فاشتهر ، فيكون المبني للمجهول منه يُشتهرَ .

(٨٨)
بحث
في الطعام

إنَّ الكريمَ سـيدَ الأنـام
ومن له بـورك في الطعـامِ
مِن وصفه يأكل (كان) ما وجـد
لا متكلفاً الى ما قد فقَـدِ
يُعظّم النعمةَ حتى ما احتـقَر
شيئاً وما عاب طعاماً قد حضَـر(١)
وما اشتهَى من أهله ولا اقتـرح
يوماً طعاماً هكذا عنه اتضـح
وكـان لا يأكل أصـلاً وحدهُ
ولا الغِذا يجمعه وضـدَّهُ
من لبن مع سـمك طريِّ(٢)
واللحم مِطبوخاً مع المشـوي
وكـان لا يميـلُ للألوانِ
وقط لم يأكل على خِـوانِ

(١) يشير إلى حديث : ما عاب النبي ﷺ طعاما قط ان اشتهاه أكله وإلا تركه، وفي رواية كرهه تركه أخرجه البخاري مسلم (اللؤلؤ والمرجان رقم ١٣٣٦) .
(٢) هذه من الخرافات، وقد زعموا أن ذلك يؤدي للجنون !

يومين بالتوالي عنه ما سُـــمع
بأنّ من خبز الشـــعير قد شبع[١]

يأكـــل (كـان) كل يوم مـــرةٍ
وهذه العادة مســـــتمرةٍ[٢]

وإن تعشــــى يترك الغَداءَ
وإن تغدَّي يترك العَشَـــاءَ

قال: وما من عمـــل مرفـــوعِ
لله مثـــلُ عطشٍ وجـــوعِ

رأسُ الدوا الحميـــةُ في الغِـذاءِ
وإنما المعْـــدة بيتُ الـــداءِ

قالوا: وشـــرط الأكل في الحقيقة
عند أولي الحكمـة والطريقـــةِ

اجلس إذا ما جُعتَ للطعــــامِ
بشـــهوةٍ صـــادقةِ الإقـــدامِ

أيضاً وقم عنه وأنت تشـــتهي
لا تشـــبعنَّ منه حـتى تنتـــهي

(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ ، الشمائل للترمذي بشرح الباجوري (٩٨).

(٢) عن عائشة أيضاً : « والله ما شبع (رسول الله) من خبز ولا لحم مرتين في يوم » (الشمائل للترمذي ١٠٠).

وقَلّلِ الأكل لتحـــمي صـــحَتك
وأطِلِ المضغَ وصـــغّرِ لقمتَـــك
واستعمل الحِمية واخشَ البِطنـــةَ
فإنها تُذهب عنك الفِطنــــةَ
يأكل كي يعيشَ كـــلُّ عاقـــلِ،
يعيش كي يأكلَ كـــلُّ جاهـــل
والصبرُعن[1] تركك ملــذوذَ الغِـذا
أحسنُ من شربك مكروهَ الـــدَّوا
وجاء شرط الجـــوع في التعلّـــمِ
أن تشـــتهي الخبـز بغير الأُدُمِ[2]
الجوعُ ليس شـــــهوة النفائس
بل شهوةَ الخبز الشـــعير اليابسِ
متى كرهتَ أكل خبـــزٍ وَحـــدَهْ
الجوع ليس صادقاً في المِعـــده
أو قلت: هذا يابسٌ وذا طـــري
أو قلت: هذا جيـــدٌ، وذا ردِي

(١) في الأصل « أصبر على ».
(٢) الأذْام والإدام، هو ما يؤتدم به كما في الصحاح ٥ / ١٨٥٩

(٨٩)
بحث
في الحب والمحبوب

إن التِهــاميَّ حبيبَ ربــه
مَـن اجتبــاه ربُّـنا لحبِّــهِ
كـان مُحبــاً للورى محبوبـا
كان ودوداً راحمـاً صَحوبـــا
من حُبِّــه ووُدِّه للخــلق
قد جاء وصــفه بهذا النطــقِ
كـان يظـن كـلُّ من يأتيـــهِ
بأنــه أحـــبُّ وافـدِيـــهِ
فحبُّه لرحمـــةٍ بـلا مِـــرا
وقلت في تنـزيهه محــــــذرا
عن نســخة في شـــأنه المقدسِ
رأيتهـا للعـــالم النابلســي(١)

(١) لعله يقصد « غاية المطلوب في محبة المحبوب » ذيل كشف الظنون ٢ / ١٤٢ ولم يفصّل مضمونها .

موضوعــة في الــحب والحبيبِ

قُدِّس عن مقالــها الغــريبِ

وإن تُؤوِّلتْ لــدى العظــام

لكنها تــضرُّ بالعــــوامِ

فقل لمن طالعهــا إذا غــوى :

جَلّ أبو القاسم عن مَيـل الهــوى

حُبِّب للرســول من دنيــانا

ثلاثُ حاجــاتٍ كــذا أتانا

طِيبٌ، ونســـوةٌ مطهـراتُ،

وقـرةُ العــين له الصــلاةُ[١]

وحبنـــا لله والرســـولِ

هو امتثـــال الأمر بالقبــولِ

فمـــن أحــبَّ الله فليتبعْــهُ

يُحِبُّـه الله غـــداً يرفعْــهُ

جاء : كما أحســـنتَ ربي خَلقي

فأحســن اللهم مني خُلُــقي

(١) حديث «حُبِّب إلي من دنياكم ثلاث : النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة» له طرق عديدة بألفاظ مختلفة وذكروا ان لفظ (من دنياكم ثلاث) لم يرد لأن الصلاة ليست من الدنيا (كشف الخفاء ٣٣٨ - ٣٤١).

وقد سمعنا أنَّ إذهاب الحَــزَنْ
بالماء والخضرة والوجه الحســنْ
لاشـك أن رؤيــة المــلاحِ
منعشـــة إلى قوى الأرواحِ
من كان (جاء) وجهُه دميـــما
كان إذاً[١] خُلُقُــــه ذميمـــا
حبكُ للشيء ســيُعمي ويُصمّ
مَن جاهدَ الحبَّ فذاك المعتــصم
وليســت العصمــةُ إلا في نــبي
قلت: كــذا في ملَك، وفي صــبي
الحســنُ نهّابٌ الى القلـــوب
أيضاً وســتّارٌ على العيـــوب
الحســنُ للإنســـان خيرُ شافعِ
وشـــافعٌ ليس له من دافــعِ
بالحســـن ما خُصـص إنسٌ وملَك
بل في جميع الحيـوان مشــــترَك

(١) في الأصل « أوشك أنّ » وهذه المقولة غير صحيحة فكم من دميم الخلقة حسن الخلق ، والعكس .

وفي النبــاتات وفي الجمــادِ

يعــين في[1]ي تزايــد الإمــدادِ

والعشــقُ ضــعفُ القلب والدماغِ

وعلــةٌ تــأتي من الفــراغِ

قال ابن سينا: من ســقوط الهمة

وخلةٌ تَســتوجب المذمّــة

أو أنــه مــزاج أنثويّــة

يســتوعب القلب على السويّة

وهاك من نصــائح الدَريــه[2]

ترجمت ما يليــق في الحريــة :

« أن لا تعلق بــديار قلبــا

ولا بمحبوب تقاســى حُبــا

فالبحر والــبر وســيع بلده

وآدم فيها كثيرٌ وَلــدُه»

* * *

(١) في الأصل « يزيد من ».

(٢) أي اللغة الفارسية القديمة .

(٩٠)
بحث
في الهوى

إن زكىَّ النفس قَطُّ ما غــــوى
في حُكمه وما اســـتماله الهوى
وقد نهانا نحن عن هـــــوانا
أخبر أن في الهــوى هَـــــواناً
وقال فيه : جاهدوا أهـــواءكمْ
مثل مجاهدتكم[١] أعداءكـــــمْ
ومن كلام ابن دريد الواضـــحِ
جعلت هذا البيت في نصائحـــي
«وآفة العقل الهوى فمن عـــلا
على هواه عقلُه فقد نــــجا»[٢]
قابلْ هواك دائمــــاً بعقلكَ
وغطِّ بالحلم قبيـــــحَ فعلكَ

---

(١) في الأصل « كمثل ما تجاهدوا ».

(٢) من مقصورة ابن دريد

قالوا : إذا شـــككت في أمرين

ولست تدرى أصـــوبَ الإثنينِ

فاعرضهما على هـــواكَ فالهوى

يغادر الصواب يســتدعي الخَطا

اعص هواك وأطع من شـــئتا

لا تأتِ بَحْرَه ولو ظمئتـــــا[١]

وآخرُ النصح لمن قد أرعـــوَي

إطاعةُ العقل وعصيانُ الـــهوى

* * *

(١) في الأصل « بحره » .

(٩١)
بحث
في النكاح والجماع

إن أبا القاسم ذا الفلاح
ومن أتى بسنّة النكاحِ
قد جاء في سُنتهِ السنيّةِ
أنْ ليس في الإسلام رهبانيةِ
رسولنا سنتُه التأهّلُ
عنه أتى: تناكحوا تناسلوا[١]
والنطفَ اختاروا لها النفيسةِ
العِرْق في الطفل له دسيسةِ[٢]
يمزح مع نسائه ويلطُفُ
يقول ياصويحبات يوسُفُ
وربنا أعطاه بالكمال
قوةَ مائةٍ من الرجالِ

(١) أخرجه عبد الرزاق والبيهقي مرسلا . قال السخاوى في المقاصد : جاء معناه عن جماعة من الصحابة (كشف الخفاء ١/٣١٨) .
(٢) العرق دساس « أخرجه الديلمي والبيهقي » كشف الخفاء ٢/٥٩ .

أكثرُ ما يُلقِـي الفتى الى سَـــقَر
الأجوفـانِ،جـاءهــذافي الخبر(١)

وجـاء معنى قولـه : تـرك الزنى
يورث للإنسـان عـزّاً وغِنى

إن النســاء شـــرُّ ما فيهنَّ
رضاؤهـــنَّ في فـــروجهـنَّ

من ابتـلي بصحبــة الإنـاثِ
فليحترز من هـذه الثـلاثِ :

لا يركننَّ أن يُذيــع السِـرّا ،
لا يســتشرْ ، ولا يطيــعُ أمرا(٢)

قالوا بأنَّ صـــاحب النـكاحِ
مقتِبس مـــن جــذوة الأرواحِ

وأنَّ ذاك روحُـــه قد تشـــتعل
فليكثرِ الإنســانُ منه أو يُقِـلّ

من أقللَ الجمـــاع حين شــهوته
دام ســـوادُ رأسِـــه ولحيتِه

(١) يشير إلى قوله ﷺ لما سؤل عن أكثر ما يدخل النار قال : الأجوفان الفم والفرج .

(٢) هذا مخالف للسنة ، فقد كان النبيﷺ يستشير بعض نسائه، كما استشار ام سلمة في التحلل من متعة الحج وتردد الصحابة في ذلك فأشارت عليه بأن يتحلل بأن يحلق أمامهم، فتسارعوا لإتباعه .

أضَـــرُّ ما للشـــيخ مما قد خُلق :

جاريةٌ حســـنا، وطبـــاخٌ حَـذِق

إن أكثر الطعـــام أفـــنى بدنَـــه

أو اكثرَ الجمـــاعَ خاطَ[1] كفنـــه

فهاجرِ الجماعَ حسْـــــبَ القوةِ

إن اســـتطعتَ كلَّ شـــهر مـرةِ

* * *

---

(١) في الأصل « حضر » .

(٩٢)
بحث
في الشهوة

إنَّ أمام الأنفس العفيفةِ
نبِّينا ذا العصمة الشريفةِ
مِن وصفِه: كان عفيفَ الذاتِ
ولا يميل قَطُّ لِلّذاتِ
مجاهدٌ للنفس عن شهواتها
في أكثر المباح من لذاتها
يغضي عن اللذيذ باصطباره
ويحمل النفس على المكارهِ
وجاء: لا أفلح عبدُ الشهوةِ
فاعلم بأن الحر عبدُ النخوةِ[١]
نعم أتى معنى الحديث المشتهر
إذا بُليت بالمعاصي فاستتر[٢]

---

(١) يشير إلى حديث (تعس عبد الدينار..) أخرجه البخاري الفتح الكبير ٢ / ٣٢ .
(٢) حديث « إذا بليتم بالمعاصي فاستتروا » يستدل له بحديث البيهقي والحاكم فيمن أتى هذه القاذورات شيئا (كشف الخفاء ١ / ٨٤) .

فهب تســترتَ عـن الإبصار

أهل عن الســتّارِ من سَتّارِ

قالوا : وأقصِرْ في جميــع فعـلْكَ

عن شـهوة قد خــالفت لعقلكَ

إنَّ الــذي مِلكُ يديــه شهوتُه

فإنه قد أُشـــهرتْ مروءتُه

قالوا : وإنَّ الصـبر عما يُشــتهَى

أصعبُ للإنسان من نيل السُهَى (١)

لا عاقــلٌ مـن ليس في فرصته

إليـه رتبـة عـلى شــهوتـهِ

والفرقُ في الشـهوة والأهــواء

أن الهــوى يختــص بـالآراءِ

وهـذه تختص باللـــذاتِ

فهـيَ اتّباعٌ للهــوى بالذّاتِ

لا خـير في لـذةِ نفسٍ بعد مـا

تُعقِب ذلاً للفـتى أو نــدما

(١) في الأصل « الأذى » والسهى : .كوكب خفيّ في (بنات نعش الكبرى » ، والناس يمتحنون به أبصارهم، وفي المثل أريها السهى وتريني القمر (الصحاح، للجوهرى ٦ /٢٣٨٦) .

وقال أفلاطون ذو النباهة:

لا تركبن الأمر بالبداهةِ

من غير أن تُصلح بين العقل

وشهوة النفس بذاك الفعلِ

بالعقل وحده فقد يُخشى الردى[1]

عليك، والنفس تؤدي للردى

واتخذ اللذة حين الصبوة

ممزوجة بالعقل ثم الشهوةِ

وعنه أيضاً قد أتى في حكمتهْ

في فرق عقل المرء ثم شهوتهْ:

هذا يُملّك الفتى الزمانا

هذه له تُملّك الإنسانا

أقول هذا القول غير أني

كنت، عفا الله تعالى عني

للنفس عبداً، للهوى مطواعا

في الشهوات شَرِهاً لوّاعا

(١) في الأصل « إلى ».

وكنت للشهوة في الرغاب
أطوعَ من مَطيّةِ الرِكابِ[1]
وأذكرُ الجماعَ بالمحذور
مع أنني انكحُ من عُصفورِ
والقصد في الإقرار بالمعايب
هنا وفي الغير من المطالبِ
دفعاً عن العجب وتركاً للريا
ومِن قبيل الاعتراف بالخطَا

* * *

(١) المقصود ، ركاب المطيّة ، وهو الحديدة التي توضع عليها القدم لركوب الخيل .

(٩٣)
بحث
في الطب

إنَّ الـذي حديثُـه شـفاءُ
لكـل داءٍ نطقُـه دواءُ
كان يراعي الطـبِّ والتطبّبا
كـان يحب الطِّيب والتطيبـا
وبالطبيـعيِّ لقد تـداوى
وبـالإلهـيِّ كـذاك داوى
واسـتعملَ الأدويـة المركبة
كذلك المفـردَةَ المنتـخبة
وفي التداوي جاء عن فخر البشر
مُحققاً أن الـدوا من القَـدَر
قـال: تـداوَوا إن أتاكـم داءُ
فكـل داءٍ ولـه دواءُ
والكيُّ في الأمراض كلها شـفا
لقولـهم : النار يا موسـى دوا

قالوا: وان قَدمْتَ يوماً أرضـــا
وكان في مثلك ناسٌ مرضَـــى
فاجعـــل ترابها إذاً في مائهـــا
فأنت في الأمـــانِ من وبائهـــا
ومن يكن ملازماً للقصـــــدِ
فليس يحتاج إذاً للفصـــــدِ
أكلُ القليل من مُضِرّ قاطـــعِ
احسنُ من أكلِ الكثير النافـــعِ
كـــلُّ كثيرٍ قاهرٌ للطبـــــعِ
والاعـتـدالُ فيه كلُّ النفـــــعِ

* * *

من يعترضْ عند المنام للخَـــــلا
دام على صورته حســـــن البها
وبـــارد المـــاء لـــــدى الحمّـــام
ينفع بالوجه وبالأقَـــــــدامِ
أكثركم مضمضةً على صِـــــغرْ
احفظكم لضرســــه على كِبر

في خمسةٍ تَّوقَ شُــــرب الماءِ

فإنها جالبـــــة للـــداءِ :

من بعد إعياءٍ[1]، (كذا) الطعـــامِ،

والنومِ ، والجِـماعِ، والحَمّـــامِ

* * *

(١) في الأصل « كذا » والعطف يجعل « من بعد » مراعي في البقية بدلا من أن تصبح « كذا الطعام » جملة ولا يلحظ معنى البعدية .

(٩٤)
بحث
في العادة

إنَّ الصفـيَّ كاملَ الصـفاتِ
ومَن أتى بأفخـر العـاداتِ
عادته في السـرِّ والإعـلانِ
كأنـها خلاصـةُ القرآنِ
العدلُ والإحسـانُ من عاداته
والظلم والفجور من عِـداتهِ
عـادتـهُ جليـلة الفوائـدِ
قد أصلحت مفاسـدَ العوائدِ
والكل من عاداتـه البهيَّـةِ
يُعلم من سـنته السنيةِ
قالوا : وكلُّ خُلُقٍ إنْ عُهِـد
طبيعةٌ خامسةٌ الجسـدِ[1]

(١) في الأصل « وكل خلق معهود » طبيعة خامسة الجسود .

أَعـطُـوا لكل جسدٍ ما اعتـاده
للنفس كالطباع قهر العـــادة
فالشيء مَـن عــوّده مـــــرارا
في الســـــر قد يفضحه جهارا
قد قيل فيما قيـــل: خالفْ تُعرفِ
فاخرج عن العادة في المســـتظرفِ

* * *

قالوا بأن قـوةَ الرَّضـــــــاعِ
موجبة تَـغَـيُّرُ الطبـــــــاعِ
ليس براجع فتىً عن طبعـــــه
حتى يُرَدّ الدَرّ[1] نحو ضرعـــهِ

* * *

وقال افلاطون ذو الدرايـــةِ:
الطبع قد يشتد في النهايـــةِ
لكنْ تصنُّعُ النفوس الزائـــلِ
أشد ما يكون في الأوائـــــلِ

---

(١) الدرّ : الحليب .

الطبع (قالوا) غلبَ التطبّعـــا
فغادر التقليدَ والتَصنّعُــــا
طبع الفتى في خيره وشـــرِّهِ
أسرع من مـاءٍ إلى مقـــرِّهِ
وبعضهم آذن بالتصنـــعِ
لقولهم: الطبع بالتطبّـــعِ
وقولهم: الحلم بالتحلـــمِ
وقولهم: العلم بالتعلـــمِ
تغير الأخـلاق والخصـــالِ
ممكنةٌ في مذهب الغـــزالي
بأن تُراضَ النفس بالمجاهـــدة
بالضد في كل الطباع الفاسدة
فتلزم الإمساك[1] للمبـــذّرة
وكـثـرة الإنـفـاق للمقتّـــرة
حتى تراها حسنت[2] خصـالهُا
وقـام في الأوسـط اعتـــداها

(١) في الأصل « الإلزام » .
(٢) في الأصل « حتى تكن قد حسنت » .

(٩٥)

بحث

في الزيارة

إنَّ البشـيـرَ صاحبَ البشـارة
قــد كان من ســنته الزيارة
كـان يجيب دعــوةً للداعـى
حتى ولو يُدعـَى الى كَـراعِ(١)
وعنه: قد كان يعـود المرضـى
صلى عليه الله حـتى يرضـى
معنى الحديث قـد أتى : زُرْ غِبًّـا،
من زار غِبـاً (جاء) يزددْ حبـا
قال الحكيـم: كثرةُ التعاهـدِ
بين الأحبّا ســببُ التباعدِ
وغيره قد قال : إدمـان اللّقَـا
إلى الأخلاء منَ أســباب الجفا

(١) يشير إلى حديث لو أهدي إليَّ ذراع لقبلت، ولو دعيت إلى كراع لأجبت (أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في المسند ٢/٤٢٤).

والشمسُ لولا كل يوم تطلـعُ

لكانت الناس إليها تركـعُ

ويُهجر الهـلال كلما وفا

لكنه يُرقَب كلما اختفى

ويُسأم الغيثُ على الدوامِ

وبالدعا يُطلب في الإحجامِ[١]

❋ ❋ ❋

(١) أي بدعاء الاستصحاء، وصلاة الاستشفاء، وذلك عند تتابع المطر بشكل ضارّ .

(٩٦)
بحث
في التجارة

إنَّ شــفيعَ الخلق في يوم الجَــزا
تاجر هَاجَــر وحـــجَّ وغــزا
وقال في أصــحابه: وهاجـــروا
وقال:حجواتغنمـواوســـافروا[١]
وســـار في مالٍ الى خديجـــة
لا طمعـــاً للربح والنتيـــجةِ
بل مثـــل ســيره الى ثقيف
وقصـــده طيبةَ بالتشـــريفِ
جميعها لحكمـــــةٍ دقيقــة
واضحةٍ عنـــد أولي الحقيقـــةِ
عليك بالهجـــرةِ والأســـفارِ
والغزَواتِ ســـنةِ المختـــارِ

(١) يشير إلى حديث حجوا تستغنوا وسافروا تصحوا أخرجه عبد الرزاق (الفتح الكبير ٢ / ٧٠).

وجاء في التوراة: جدد سفرا

دوماً[1] أُجَدِّدْ لك رزقا آخرا

والماء إن طال بأرض مُكثُهُ

لا بُدَّ أن يَظهر يوما خُبثُهُ

* * *

(١) في الأصل « حتى ».

(٩٧)
بحث
في الحرب

وإنَّ سـيفَ الله خيرَ حاكـمِ
ذا العز والقـوة[١] والملاحـمِ
قد جاءنا بالسـيف والكتابِ
برحمةٍ جـاء، وبالعـذابِ
نعم أتى للمسـلمين نعمـة
كما أتـى للمشـركين نقمـهْ
وكـان في الحـرب له بسـالة
تحمرّ عيناه من الجـلالـة
في أُحُـدٍ بعضُ الفئـات فلّت[٢]
عنه ومن جهـد البـلاء ولّت
وهو كمثـل الصـخر في قفاهمُ
يدعوهـم للحـرب في أُخراهمُ

(١) في الأصل « البطش » .
(٢) في الأصل « في احد والمسلمون قلت ».

جـــاؤوه بالـــجرأة في ثباته

وانتصـــروا من بركات ذاتــهِ

وعنه جاء: الحرب بالمخادعـــة

وليس كل الحرب بالمصارعـــة[1]

قد قال أهل العقل : رُبَّ حيلـــة

أنفع للإنســـــان من قبيلةِ

وكل فكرٍ صـــائبٍ معقـولِ

أمضى (نعم) من باترٍ مصقـــولِ

إذا العـــدو للفـــــرار ولَّى

فافرش له الديبـــاجَ فهـو أولى

فكثرة الطُــرد وضيـــقُ الحال

تشجع النذلَ على القتـــالِ

وأضعفُ الحيلة نعمَ العُــــدّةِ

خيرٌ الى المرء منَ اقوي شـــدّةِ

إنَّ الـدوا آخـــره بالكـــيِّ

وهكـذا القتال بعـــد العِيِّ

تسعٌ وتســـعون له من الحِيَـــلْ

والمائة القتـــال، قيل في المَثَـــلْ

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما (الفتح الكبير ٢ / ٧٩) .

(٩٨)
بحث
في العداوة

إنَّ رؤوفَ القلب والوفـــاء
مُنـزّةُ الصـــدر عن البغضاءِ
قد كان من كمال حلـــم ذاتهِ
يُســرع[١] بالخير إلى عِداتــهِ
عن أنس الخادم: مهما تســتطعِ
إن كنت لي في ســـنتي بالمتبعْ
أصبحْ وأمسِ خالياً من الحســد
وليس في قلبك بغض لأحـــد
فسنتي هذى وأهل السُّـــنةِ
هم رفقائي في غدٍ للجنـــةِ
جاء: وشـــرط خلة المكارم
أن لا تخاصم ثم لا تخاصـــم

(١) في الأصل « يستدع » .

جاء: احذروا من الذي تبغضُـــهُ
قلوبكم ونفسُكم ترفضُـــهُ
وأكثر العثار والشــقاوةِ
(قالوا) من استصغارك للعداوةِ
ألـف صـديق ما لـه تأثـيرُ
نعم عـدوٌّ واحـدٌ كثيرُ
ولا تُعادُوا دولة الإقبـالِ
يُدْبِرْكم إقبالُها في الحـالِ
قيل: ومـن عادى مُعاناً في الـورى
تخالـه عـاد مُهـاناً لِـوَرا
إنَّ العِدا أوهنُهـم أضـرارا
أكثرهم لبغضـه إظهـارا
لكن برئ العاقل في العـداوةِ
وكتمه للكيد بالغبـاوةِ
وهـو يُـرى من دم الأعـادي
وغـيرُه ملـوّثَ الأيـادي
قالوا: وإن عاديتَ شخصاً فاختبرْ
ما فعله مع الإلـه فاعتـبرْ

إن كان محسناً فلا يُسلمُهُ
إليك مولاه ولا يظلمُهُ
وإن تكن سيئةً أعمالُهُ
أوشك أن يكفيكَه وبالُهُ
قالوا: وإن أخذت بالمكافحة
مع العدو فاحذرِ المقابحة
والغضبَ الداعى تأدّبْ عنهُ
فإنه أعدَى إليك منهُ
قالوا : وكل زارع للأحسَنِ
غدا تراه حاصداً للحسَنِ
قد يُقهر الحسودُ والمعادي
بالسيرة العادلةِ الأيادي
ينتصف الإنسانُ من عِداتهِ
ان زاد فضلاً وعلاً[1] في ذاتهِ
وقد أتى: كلُّ عدوّ عاقلِ
أحسنُ من كلِّ صديقٍ جاهلِ
نهاية الكمالِ إكرامُ العِدا
من حيث أَنْ لا يشعروا منك النَدا

(١) في الأصل « وفقاً ».

(٩٩)

بحث

في التوبة والاستغفار

إنَّ نبيَّ التوبة التهامي
كهفَ العصاةِ شافعَ(١) الآثامِ
وطالبَ الغفران للجميعِ
صلى عليه الله من شفيعِ
قد كان مائةً على التكرارِ
يستغفر الرحمَنَ في النهارِ
وتائبٌ من كلِ ذنبٍ عَمِلَه
(جاء) بأنه كمن لا ذنبَ له
فاندم لذنبِ نفسِك الأمّارة
ندامةُ الذنب له كفّارة
تؤخِّر التوبةَ من طولِ الأمل
وترتجي آخرةً بلا عمل

(١) في الأصل « ما حي ».

ومن على الذنب يكن مُصــــرّا

بنفســـه يكن غـــدا مُـّضِرا

ولا صغيرةً مع الإصـــــرار

ولا كبيرةَ مع اســــــتغفارِ

أخشـى على المحســـنِ والتقيِّ

وأرتجـي للمذنب الشـــقيِّ

وضاحكٍأخياعتـراف[1] مذنبِ

أحسنُ من باكٍ مدّلٍ معُـــجَبِ

سبعون ذنباً غُفرت للجاهـــلِ

من قبل أن يُغفر ذنبُ العاقـــلِ

* * *

(١) في الأصل « وذو اعتراف » .

(١٠٠)

بحث

في الدعـــاء

إنَّ الذي دعاؤنا عند الصمـد

بين الصلاتين عليه لا يُـــرَد

يُكثر (قد كان) من الدعـــاءِ

في حالة السّراء والضـــرّاءِ

وعن عليٍّ:يوم بدرٍ الكـــبرى

مازال يدعو الله فينا جهـــرا

ياربّ نصرَك الذي وعدتـــني

يقول وهو بالدعاء معـــتنِ

حتى رأينا ســـــقطَ الـرداء

عنه، وحـــالاً ولَّت الأعـداء

* * *

أكثرْ من الدعـــاء والإنابـة

إنك لا تدري متى الإجـــابـة

وفي حديث استقرت صحتُهْ
فيمن رجا أن[1] تستجاب دعوتُهْ

فليكشفنّ كربةٌ الملهوفِ
حثّاً على صنائع المعروفِ

ليس جديراً لقبول الله
دعاءُ من يدعو بقلب لاهِ

اغتنموا الدعاء عند الرقّةِ
وشرطُه الحضورُ ثم الدِقّةِ

حلاوة الدعاء في الإنابة
قد قيل من علائم الإجابة

عليكم (قد قال) بالدعاءِ
فإنه الدافعُ للبلاءِ

ونفعُه عند النبي المرُسَلُ
لمنزل أيضاً وغير منزل

ولِحَّ في الصبح وفي العشاء
لحبّه المُلِحَّ في الدعاءِ

(١) في الأصل « فيمن احب » .

ودعــوةُ المظلوم مســــتجابة
وهي كأسهم القضا إصـــابة
لا دافعاً يردّها لا مانعـــــا
تترك دار[1] من بغَى بلاقِعـــا
وإنهـــا أمـضى من الخناجـــرِ
ـ أعاذنا الرحمن - بالحنـــاجرِ
ترك الدعاء (قيل) في الآبـــاءِ
يُضيقّ العيش على الأبنـــــاءِ
قد قال افلاطون في ذا البحـــثِ
وللدعاء آمـرا بالحـــــثِّ
وكـل ما يفعله الإنســـــانُ
ففي الســـــماء فله اقـترانُ
يزيد في اعتمــــــاده وينقص
وتارة يغلو وطــــوراً يرخصُ
فما التمســــــته من الآمـالِ
فأبدأ الى ربك بابتهــــالِ

(١) في الأصل « تذر ديار » .

لأنه يبصر من أحـــــوالكَ

ما لا يراه الغير من أمثـــالكَ

وقصدُه أنجحُ للمقصـــــودِ

والحكمُ، لا للعبد، للمعبـــودِ

وقال: إن شئت لضّرٍ قد فَجــا[1]

فقم (إلى) العالِم نِعـــمَ المُلتجَى

قم وابتهل إليه بالدعـــاءِ

والصـــدقِ والإلحـاحِ والبكاءِ

كوالهٍ ليس إليــه- مَعـــدِلُ

في أمـره عمَّن إليه يَســـــأَلُ

فعنك انحسامه في المســـألة

يكون في مقدار إخلاصـــك له

* * *

(١) في الأصل « الضر فاجا » . وفي (فجا) تسهيل للهمزة وأصله (فجأ) .

خاتمة

صلاتنا في البدءِ والختامِ
على التهاميّ مع السلامِ
حثّ على حسن الختام اللازمِ
في «إنما الأعمال بالخواتمِ»[1]
وهذه منظومتي الفريدةِ
وهي طباع الأنفس السعيدةِ
يا حبذا قد أشرقت سماؤها
ونورُ ذكر المصطفى ضياؤُها
فيا لها منظومةٌ غرّاءُ
قد شرفتها السُنّة العلياءُ
منظومةٌ منشؤها النبوّةِ
فيا لها نموذجُ الفتوّةِ
وكلها جواهرٌ منقودة
كأنها دراهمٌ معدودة

---

(١) يشير إلى الحديث « وإنما الأعمال بالخواتيم » أخرجه البخاري والترمذي وأحمد في المسند ٥/ ٢٢٥ .

مملوءةٌ من حِكَم الفوائـــدِ
عاريةٌ عن كل حشوٍ زائـــدِ
وحسبها إلى العقول رابطـــة
إلى مقادير الحـدود ضابطـــة
وتعصم العقـــل عن التفريط
وتــردع النفس عن التغليـــطِ
والقصدُ من تحرير ذي النَميقــةِ[1]
النصح للنفس وللخليقـــة
جعلتها مـرجَـزة العبـــارةِ
ويكتفي العاقلُ بالإشــــارةِ
وان ظفرت بقصـــــورٍ فيها
فكن حليماً لا تكن ســــفيها
لأنني نظمتُها مأيوســـــا
وكنت في جزيرة محبوســـــا
بُليتُ بالنفي وبالإقامـــــةِ
في (رودس)[2] المشهورة الشآمــةِ

(١) أي المنمقة : المكتوبة بإتقان .

(٢) رودس إحدى الجزر القريبة إلى (قبرص) وكانت من أراضي الدولة العثمانية .

فحين ختمها بعـــون الباقي
أدركني الرســـولُ بالإطلاق
عَلِمتها من هذه المداركـــةْ
بأنها منظومة مباركـــــةْ
جعلتها لله منّي توبـــــة
ومِلت للحق وعُـدت صـــوبَه
«ومن يكن في الأربعين ســـنُّهُ
إن لم يتبْ لله ســـــاء ظَنُّهُ»

* * *

دعاء الخاتمة

نسـألك اللهم يا مـن في الأزل
قد خطّ ما يَصدر منّا من عمـل
بالخير بالشــر فكل من نطـق
فنطقه في غامض العلم سبقْ
كمثْلِ ماقَــدَّرتَ في الآزالِ
عــليّ بالنطـق بـذا المقـالِ
ومِثْـلِ ما ألقيتَ في فـؤادي
شوقاً لأخـلاق الرسول الهادي
وفّقنى يامولاي لاتّباعـــهِ
وطـبِّع القلب عـلى طباعـــهِ
واهــدِ إلى ســـنته جَناني
كـما بهـا أنـطـقـتَ لي لســاني
كما هديتنى لأهــدَى النّيــةِ
فأعطني الثبات في الأمنيـةِ
حتى أكون مثل اسمي (فاضـلا)[1]
وكـي أكـون بمقالي عامــلا

(١) هو لقبه.

يا ربنَّــا ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾[1]
فــإنْ هديتَنا فتلك مِنّتــكْ
منا الدعا والحمدُ والإنابــةُ
ومنك يا سيدنا الإجابــةُ
جئناك والحبيبُ ذو الفضيلــة
قــد اتخــذنــا هــديــه وســيلة
أدركني يا ربِّ وكَــلَّ أمتــهْ
بمددٍ نسمو بروحانيتــهْ[2]
نسألك النجاةَ في الــدارينِ
طُــرًّا بهــدي ســيد الكــونينِ
عليه منا أفضــلُ الصــلاةِ
وآلِـــه وصحبِــه الثقاتِ

* * *

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٥

(٢) في الأصل « بمدد من نور روحانية ».

تاريخ نظمها

قد آنَ أنْ نختم ذي المقالـــةِ
خوفاً من الإطناب والملالــــةِ
وها كَها[1] (خريدةٌ) أرَّختُها
كـدرّةٍ بالمسك قد ختمتُهـــــا
يا ربنّا لرفعة[2] الرســــول
تجعلها في أعـين القَبــــولِ

* * *

(١) أي خذها، وفي الأصل « وها أنا ».

(٢) في الأصل « بحرمة » .

تاريخ تبييضها

وكـــان في تبييــضها ابتلائي
حيث غدت عيناي[1] في الظلمــاءِ
من علّةٍ قد أورثتـني قَلَقــا
وغــادرتْ نهارَ عيني غَسَـــقا
مُـذْ أنـزلـتْ بناظـريّ ضُـرّا
وقاكم الله تعالى الشَّــــرّا
لا أُبـصر الخطوطَ في الكتـابِ
حتى استعنت البعضَ من أصــحابي
تبييضها في (سـاقـر) المفرّحـه
ونظمُها في (رودس) المقرحـــة
وكــان قد تم لنا تنســـيخها
في سنة (واضحة) [2] تاريخهـــا
وختمها في ليلــة المعــراجِ
بـشـــارةُ القبول للمناجـــي

(١) في الأصل « وكانتا عيناي ».
(٢) أي سنة ١٢١٥ وهذا التاريخ من حساب الجمل

فنسأل الله الذي منه الشِّـــفا

جِلاء عينيّ كنـــور[1] المصطفى

حاشا بأن افقد نورَ الباصـــرة

وخدمتي مدحُ شـــفيع الآخرة

صـلّى عليـــه الله كـَّل آنِ

ما تابَ واســـتغفر كلَّ جَانِ

عليه منا أفضل الســـلامِ

وآلِـه وصحبِـه الكـــرامِ

* * *

(١) في الأصل « بنور » والتعديل للخروج من الخلاف.

(الفهارس)

الفهرس التحليلي (الألفبائي)

الفهرس الموضوعي

كشف الموضوعات (الألفبائي)
(العنوان، ورقم البحث المتسلسل)

(أ) رقم البحث

(ت)

(ج)

(ح)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

الفهرس الموضوعي